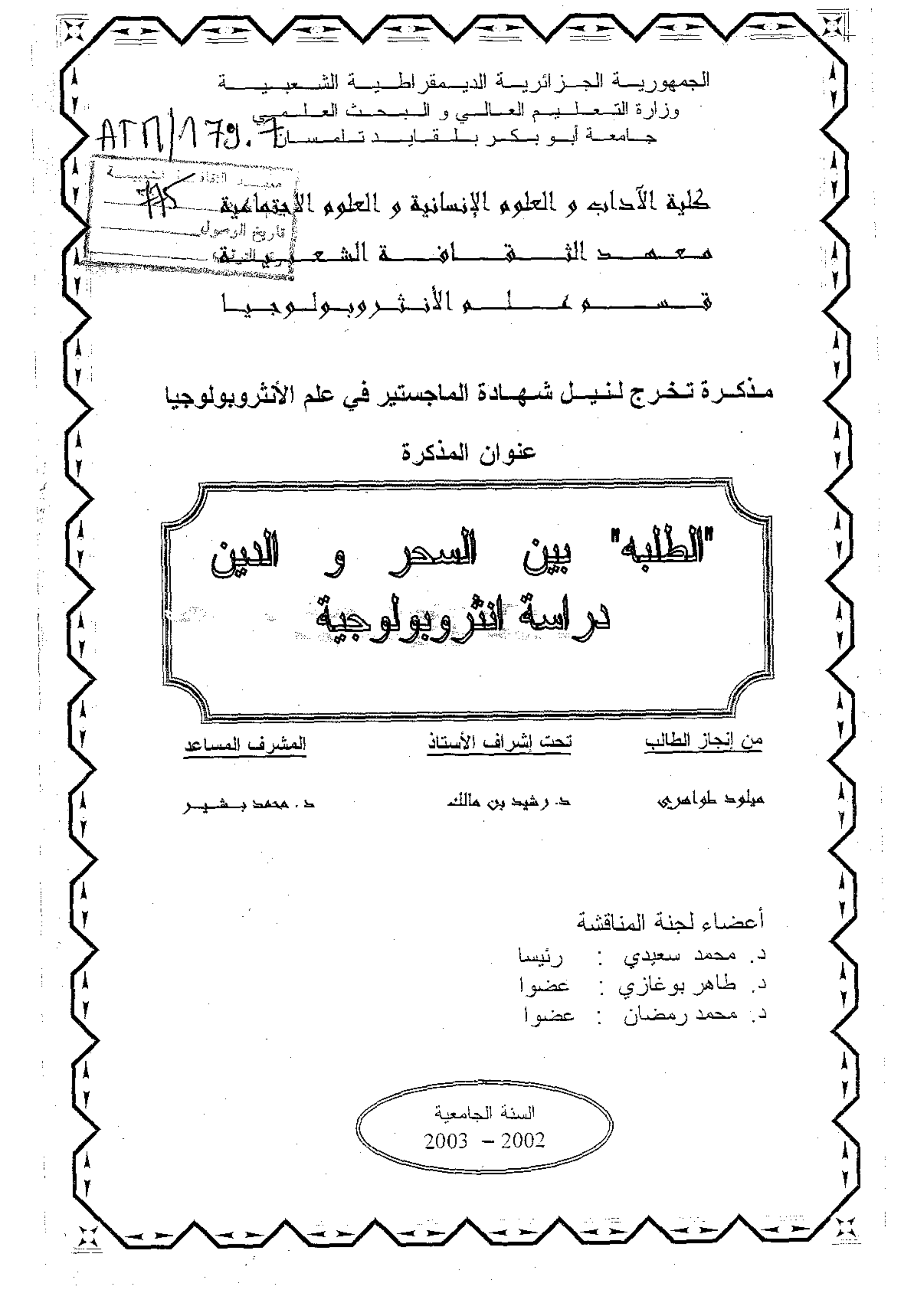


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان



كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
معهد الثقافة الشعبية
قسم علم الأنثروبولوجيا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الأنثروبولوجيا

عنوان المذكرة

# "الطلبه" بين السحر و الدين
## دراسة انثروبولوجية

من إنجاز الطالب: ميلود طواهري
تحت إشراف الأستاذ: د. رشيد بن مالك
المشرف المساعد: د. محمد بشير

أعضاء لجنة المناقشة
د. محمد سعيدي : رئيسا
د. طاهر بوغازي : عضوا
د. محمد رمضان : عضوا

السنة الجامعية
2003 - 2002

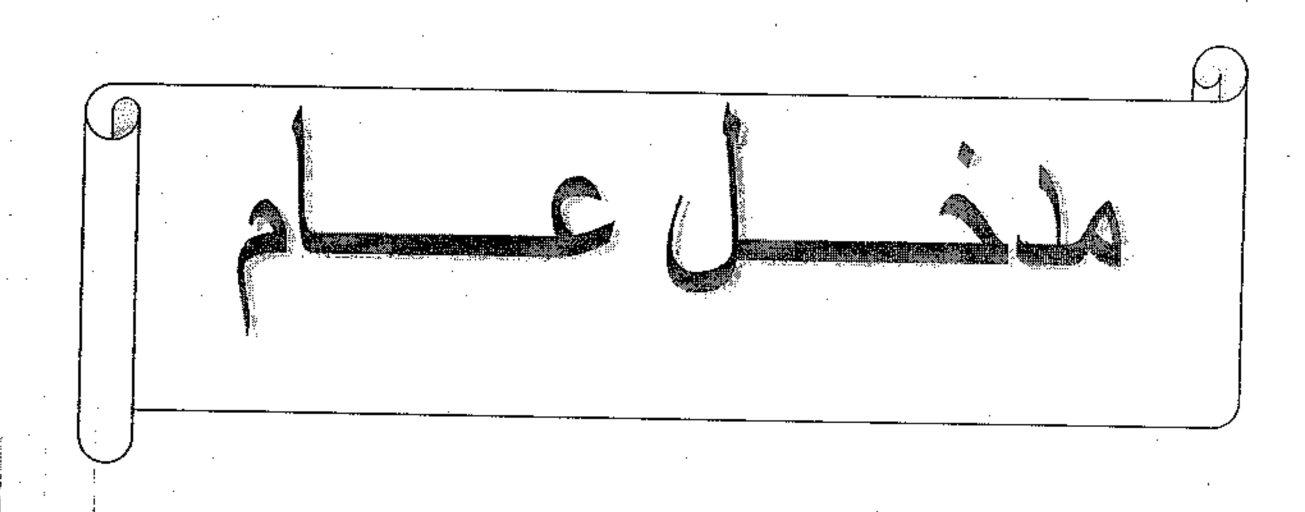
# إهــداء

إلى أمي و أبي

إلى زوجتي و أولادي

إلى من علمني و أطــرني

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث


مدخل عام

# مقدمة عامة

إن بناء موضوع يبدأ بتحديد مجال الاهتمام و المتمثل في هذا البحث في حقل المعتقدات الشعبية التي تدل على مجموع المعارف الشعبية، تلك المعتقدات التي يؤمن بها الناس و هي تتعلق بالعالم الخارجي أو العالم فوق الطبيعي.

تتسم هذه المعتقدات التي يعتبرها خرافات ببعض الخصائص التي تميزها عن سائر الأنواع الشعبية الأخرى؛ فهي أصعب في التناول وأشق في الدراسة لأنها باطنة في صدور الناس وهي لا تلقن من الآخرين و لكنها تتشكل بصعوبة، على خلاف اللهجة مثلا التي تنطق و يمكن كتابتها، كما تتطلب وجود مجتمع يتفق على رموزها . كذلك الزي الشعبي وأدوات الزينة تستمد قيمتها من إظهارها للناس، والعادات الشّعبية لا بد أن تمارس، فتبرز بالضرورة إلى الملأ. و هي مع تمكنها في أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان سواء في الريف أو في المدن، عند الأميين ولدى المثقفين.

وهي تتجلى في نسق من الأفكار والأحاسيس التي تحرك النّاس إزاء الظواهر الطّبيعية كالليل و الشمس والقمر الخ، وفي تصورات النّاس حول أسرار بعض الظواهر النفسية كالأحلام و الحظ والعين والاطلاع على المستقبل بأنواعه ووسائله. فهي ظواهر ثقافية متشابهة متواجدة في مختلف أنحاء العالم وترجع إلى بعض العمليات الثقافية كالتقارب و الانتشار. نضيف إلى كل هذا فكرة الأرواح و الشياطين و القدّيسين و "الفتش fétiche" ، و كذلك الطلسم والحجاب والحرز التي يحررها "الطالب" وهو مجال اهتمامنا.

## أسباب اختيار الموضوع

إن اختيارنا الولوج في عالم "الطلبة "مبعثه تلك الرغبة في الكشف عن هذا العالم و ما يطرحه من مفارقات خاصة ولأنه يتموقع في الواقع اليومي بين السحر والدين وهذا ما لمسناه من خلال المعايشة حيث تبين لنا اضطرابا في المواقف فمن جهة يرفض الكثير من النّاس هذه المعتقدات لعدم ارتكازها على أسس دينية أو منطقية بل يعتبرون اللجوء إلى خدمات "الطالب" غير أخلاقي؛ فعلى سبيل المثال تتناعت النّسوة في خصامهن بهذا العمل أو بصفة الساحرة للدّلالة على تعاطي السّحر. ومن جهة أخرى يظهر لنا الواقع حقيقة ثانية وهي إقبال الناس على خدمات "الطالب" لتحقيق أغراض مختلفة كالتداوي والزواج والطلاق وبصفة عامة كل ما يتعلق بالعملية الجنسية كمعلية يضبطها المجتمع لإنتاج و تسيير الجسم.

و أهم ما دفعنا إلى هذا الموضوع هو تأسيس نظرة علمية في تناول هذه الظاهرة الاجتماعية. إن اختيار موضوع بحث ليس هينا ذلك انه تجتذبنا أحداث الواقع أي ما هو ظرفي conjoncturel و من ثمة حرصنا على تناول موضوع ذا طابع بنائي structurel وذلك من خلال ارتباطه ببنية فكرية و ببنية اجتماعية.

## إشكالية البحث

لم تول دراسة المعتقدات الشّعبية في السّحر اهتماما لشخص "الطالب " بوصفه عنصرا من نسق عدا بعض الإشارات التي نلقاها في"مقدمة" ابن خلدون إذ يتناول المسألة في الباب الخامس[1] الذي يتضمن الأصناف المختلفة ممن يمتازون بملكات تمكّنهم من الإطلاع على العالم "غير المرئي"، القادرين على إقامة علاقة معه . ويتعرض للمسألة من الناحية الشّرعية أولا فيقارن بين خصوصيات ما يفعله أهل هذه الجماعة و سمات النبي أو من حصلت له الولاية في ارتباطه بعالم الخوارق. في المقارنة نفسها يقدم ابن خلدون تفسيرا نفسانيا انطلاقا من مراتب المخلوقات وتواصلها و قدرتها على الانتقال من رتبة إلى أخرى . و أول صنف يتطرق إليه هو الكهانة المتميزة بقوة المخيّلة و المهتمة بالجزئيات، فالكاهن يستعين بالكلام المسجوع المختلط بطرق الكذب فهذا نوع منقطع . يذكر بعد ذلك الطرق المستعملة للإطلاع على الغيب و منها الطرق المسخّرة لرؤية بعض الأشياء في المنام أو ما يسميها بالحالومية . يهتم بعدها بالناظرين في الأجسام الشفافة كالمرايا والماء و قلوب وأكباد وعظام الحيوانات، ثم المجانين الذين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فالنائم الميّت لأول موته المتكلم بالغيب فأهل الرياضيات من المتصوفة الذين يدركون الغيب على سبيل الكرامة و يتميّزون بشغلهم للحس بالبخور فقط ثمّ بالعزائم .فالميزة المشتركة بين هذه الأصناف هي أن هذا الإدراك نفساني . و ينتقل بعد ذلك إلى العرّافين الذين يأخذون بالظن و التخمين، فيحدث لهم إدراك الغيب عن مفارقة اليقظة فيتكلم الواحد منهم كأنه مجبول على النطق . يأتي بعد هذا صنف المريدون من المتصوفة الذين يمتازون بكونهم معتوهين، أشبه بالمجانين قد صحّت لهم مقامات الولاية وأحوال

الصدّيقين . أما الصنف الموالي فإنه يضم المنجمين المهتمين بالدلالات النجومية . يرى ابن خلدون أنّ هذا ليس من الغيب في شيء إنّه ظنون حدسية و هم الذين استنبطوا صناعة "خط الرمل " و يسمون بالزهوريين(نسبة إلى كوكب الزهرة) ثم يعطي بعد ذلك تفسيرا لكلمة "أيقش" والتي أعطت كلمة "أليق أش ."

و في مقدمة الفصل الخامس يتعرض إلى ما يسمَى"بالتربيع على الكنوز" و هي مسألة أكثر ارتباطا بموضوعنا . يعرّفه ابن خلدون بأنه "ابتغاء الأموال من الدفائن وهو معاش غير طبيعي بعكس مدارك الغيب التي ليست من الصنعة"[1] و يرجع الظاهرة إلى عامل فردي فالمنتحل لهذه المهنة ليس قادرا على كسب العيش بالطرق الطبيعية . من هنا فهو انحراف في طرق الكسب أو ما نسميه اليوم بالعمل كما يشير الكاتب إلى أن أكثر الناس حرصا عليها المترفون من أهل الدّولة و سكان الأمصار الأكثر ترفا . إن البعد الاجتماعي متجل،ٌ فالظاهرة منتشرة إقليميا و في فئة اجتماعية معيّنة، إنها اختصاص أهل المغرب استقدمها الطلبة إلى مصر. لقد أضحى "الطالب " يلبي حاجة اجتماعية ، مؤسسة ولّدها واقع اجتماعي معين وعليه لا يمكننا في سيّاق ابن خلدون عزل "الطالب "عن حقل المعتقدات الشعبية بالسّحر و الممارسات الطقوسية المرتبطة به.

أما الدراسات الغربية فإنّها ظلّت أسيرة "الفكرانية intellectualiste "[2] باعتبار هذا المجال مرآة لصنف معرفي مرّت به الإنسانية بالرغم من أن المدرسة السسيولوجية اعتبرته نسقا و أحد عناصره هو الجانب البشري المستخدم أي ما يعادل "الطالب " في الفضاء الثقافي المغاربي و الذي يتّخذ أوجها متعددة فتارة الكاهن و تارة الساحر

---

[1] ابن خلدون المقدمة دار و مكتبة الهلال بيروت 1988 ص ص 69-70

[1] ابن خلدون المرجع نفسه ص 244

[2] خليل أحمد خليل المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع دار الحداثة للطباعة بيروت 1984 ص 157

وتارة المداوي و تارة رجل الدين.

إن النظرة المعرفية لا تفسر لنا سرّ بقاء هذه الظاهرة المتسمة باللاعقلانية. من حقنا أن نتساءل عن المبررات التي تقف وراء بقاء و انتشار هذه الظاهرة في عصر غزت فيه العلوم كل مجالات الحياة ففسرت للإنسان الكثير من خبايا الوسط المحيط به و خبايا ذاته الفيزيولوجية والنفسانية ؟

لا يعترف النظام الاجتماعي "بالطالب " من الناحية النظرية . لكن في الواقع يُظهر الموقف مزدوجا اتجاه هذا الشخص معنى ذلك أنّه من الناحية الواقعية يعترف له (على الأقل عن طريق قصص يغلب عليها الطابع الأسطوري) بقدرات متعددة : القدرة على الفعل، التأثير على الأفراد، الأشياء و الأحداث، تأمين الحماية لشخص، أو لعائلة أو لمحصول من اعتداءات محتملة تصدر عن الأقارب على وجه الخصوص.

إذا سلمنا بأن "الطالب "يمثل عنصرا لنسق، يجب التساؤل عن الغاية من هذا النسق بمعنى آخر عن الحاجة التي يلبيها على مستوى الفرد أو المجتمع .

من هنا هل يمكن اعتبار "الطالب "وسيلة تؤدي وظيفة اجتماعية معيّنة، إذ لم يكن الأمر كذلك، فهل هو إذا نتاج اجتماعي يعبّر عنه بصفة مغايرة و على هذا الأساس منه هل يمكننا الوصول إلى البنية اللاشعورية العميقة التي يعبر عنها أو يؤطرها هذا النسق لكي نصل إلى مبدأ تفسيري صالح ؟

إن "الطالب "شخصية تتعدد أشكالها, فهي معقدة، غير واضحة، عنيفة، عالمة وشعبية، تاريخية وخرافية في آن واحد و الحكايات التي تحدث عن أفعاله الخارقة كثيرة ، تروى بحماسة و خوف كبير و كأنه همزة وصل بين المقدس و المدنس. من هذه المنطلقات هل يمكننا اعتبار "الطالب "كمؤسسة أساسية لتفهم النظرة الشعبية

للمقدس؟ إن الجواب على هذا التساؤل غير كاف ذلك لإنه يشكل عقبة بحيث يلزمنا إطار النظرة التفكيرية.

لتجاوز هذه العقبة, ألا يمكننا اعتبار "الطالب "تجاوزا لنظام خلقي اجتماعي. بعبارة أخرى هل هو مؤسسة تمكن من التوفيق بين الحس العملي و حس المقدس وبالتالي الأخلاقي ؟

## منطلقات البحث

تَعْـتير الذاتية في علم الاجتماع و الأنثروبولوجية الظاهرة الاجتماعية تعبيرا عن وعي فردي و بالتالي فهي مؤسسة على مبدأ حرية الفرد و قدرته على التأثير في محيطه الاجتماعي، وأما الموضوعية فإنها تعتبر ما يصدر عن الفاعل الاجتماعي كمرآة عاكسة للبنية الاجتماعية و منفذا لأوامرها . إن التطرق إلى النظرة الذاتية تؤدي بنا إلى الاهتمام بطموحات الفرد أما الموضوعية تجرنا إلى ميدان طموحات النظام الاجتماعي أو ما يسمى بالنسق الثقافي.

لا يمكننا أن نتغاضى في دراسة الظاهرة الثقافية المتمثلة في "الطالب" عن المعتقدات السّحرية ذلك لأنّ مكانته مستمدة منها. فهي الوسط الذي يغذيه, إنّه الوجه الإجرائي لها" .فالطالب" هو العامل و خدماته من طقوس أو قراءة أو كتابة أو مداواة يدعمها الاعتقاد في قدرته على التأثير على الأشياء.

لا يمكن إهمال الجانب البراغماتي في دراسة ظاهرة "الطالبه " و المعتقدات السحرية المتعلقة بها سواء تعلق الأمر بمصلحة مادية أو رمزية و هذا ما يدفعنا إلى التساؤل : هل أن هذا الحقل مسرح لمصالح اقتصادية مادية و مصالح رمزية تمكننا من إبراز اختلال في التوازن بين طموحات الفرد و طموحات النسق الثقافي؟ وللإجابة على إدوتي E.Doutté الذي كتب بأنّ "النّساء بالخصوص يتعاطين الممارسات السّحرية و هذا راجع بصفة عامة إلى أن المرأة لا تشترك في تجارة الأشياء المقدّسة أو الممنوعة، فهي تعود إليها تحت غطاء السّحر الذي يصبح بذلك نوعا من الدّين، دين من درجة أسفل[1] " فنعارض الرأي انطلاقا من أن عالم المعتقدات السحرية و "الطالب" كنواة لنسق منظم متجاوبا مع البنية الاجتماعية للعائلة

كإطار ثقافي للعلاقة الجنسية الموجهة للتكاثر تسمح أن يكون للمرأة دورا فاعلا في السحر الشعبي و دور مستهلك في سحر المختصين(سحر النخبة) الذي يمثله"الطالب"

و انطلاقا من هذا الشاهد يمكننا أن نصوغ فرضيتين:

الفرضية الأولى: إذا اعتبرنا "الطالب "كنواة الذهنية السحرية فما هي إذا المكونات الأخرى لهذا الوسط و كيف و من أين يستمد سلطته ؟ هل هو قياس للتصور الشعبي للمقدس؟

الفرضية الثانية : إذا اعتبرنا أن دور "الطالب "يبرز في تبيان اختلال التوازن بين طموحات الفرد و طموحات النسق الثقافي فما أصل هذا الاختلال و ما هي نقطة التوازن ؟

و أما المنهج الذي اعتمدنا عليه فإنه يرتكز أساسا على طروحات الأنثروبولوجيا البنيوية, فنحن نهدف إذا إلى دراسة الترابطات بين ممارسة ثقافية و بنية تنظيم اجتماعي نبرزها في إطار عملي .اخترنا الأنثروبولوجية البنيوية إطارا نظريا ذلك لأنها تبحث عن الثوابت من الناحية المنهجية.

بناء نسق هو الابتعاد عن وجهات نظر و الانزواء في تفسير واحد، إذ أن التطرق إلى كليتها ليس بالمتاح. إن هذه الأنساق التفسيرية لا تمكننا سوى من فهم جزء من الواقع، و مع ذلك فلا يمكننا الاستغناء عن اختيار منهجي.

[1] E.Doutté cité par M.Y.Chaouch in Le Hawfi poésie féminine et tradition orale au Maghreb OPU Alger 1986 page 114.

وأما الإطار الإجرائي الذي اعتمدناه في الباحث هو المونوغرافيا للوصول إلى تحليل نوعي لوحدة اجتماعية محدودة بالضرورة ليتمكّن منها نظر الملاحظ . فالمونوغرافيا، عبارة عن مسار ميداني علمي يتبع في دراسة تستهدف موضوعا أو ظاهرة أو جهة مجزئة في الواقع الملاحظ . و لقد حاولنا التوسّع في بعضٍ الخصائص كونها طريقة لإظهار ثوابت هامّة في دراسة تركيب معين.

تعتمد الملاحظة المباشرة على التقاط و جمع أو بحث بصفة أوّلية الوثائق، روايات أو ذكريات شخصية، مراسلات خاصة، رسائل للجرائد ...و هي مع الاستجواب المعمّق لمخبرين متميّزين منهجية تفضل دراسة الحالة و تهتم بإيجاد معنا لتصرفات الفرد و في الوقت نفسه إضاءتها بمعرفة الظرف الاجتماعي و الثقافي الذي تسجل فيه هذه الممارسات.

أتاح لنا انتماؤنا لهذا المجتمع تسهيلات و شكل صعوبات. فأما التسهيلات مكنتنا إلى حد ما من جمع المادة وهي ناجمة عن معايشتنا لأحداث و ملاحظتنا لظواهر متعلقة بالموضوع و التي بقيت على شكل ذكريات الطفولة و ما بعدها، أحداث لحظناها في الوسط العائلي و منها ما لوحظ في حياة الحي و في الوسط المهني.

و بموازاة مع المخبرين الذين زودونا بقصص عن التجائهم "للطلبه "و تعليلهم للأسباب التي أدّت بهم إلى ذلك , اعتمدنا على ما أورده بعض من أفادونا بمعارفهم المتعلقة بالمعتقدات الشعبية و بعض الممارسات السحرية.

و تربطنا صداقة "بطالب" و هو مخبر متميّز ، أكتفي بسرد أحداث حياته التعليمية في حفظ القرآن لكن الأدبيات التي يلتجأ إليها أثناء القيام بمهامه رفض ذكرها و حاولنا استخلاص ميزات التقنيات التي يستعملها من الأحاديث الطويلة و المتكررة التي كانت لنا معه.

أما الصعوبة فهي راجعة إلى طبيعة الموضوع و تفسير ذلك هو أن الالتجاء إلى "الطلبه " له وجهين، فمن جهة يعتبره التصور الشعبي ضروريا و من جهة أخرى يشتبه في من يعتاد زيارتهم. يعتبر الحديث في هذا المجال بحثا في أسرار خاصة مما يولد تخوفا عند المستجوَب.

ويكمن العائق الثاني في عدم وجود مراجع تعرضت للموضوع بصفة مختصة حيث تطرقت له من خلال النظر في المعتقدات السحرية ذلك لأنّه ليس بالطرف الوحيد في هذا المحيط و لأن هذه المعتقدات و الممارسات توجد على شكل مجموعة معارف خاصة عند النّساء و متعلقة بمختلف مراحل دوَرة الحياة.

## المحاور الكبرى للبحث

بعد أن قدمنا مدخلا حول المعتقدات الشعبية حددنا مجال الاهتمام و ذكرنا الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع. و أهم ما وجدناه مما يتعلق بالموضوع ما ذكره ابن خلدون في مقدمته فلخصناه بإيجاز فذكرنا ما يبدو جديدا في الموضوع بالصيغة التي نتناوله بها ثم صغنا إشكالية عامة للبحث. فتناولنا بعدها تقنيات البــحث و أوردنا بإيجاز الإطار النظري الذي التزمنا به.

يشتمل البحث على أربعة فصول, خصصنا الأول و الثاني و الثالث لتبيان العناصر المكونة لنسق التمثلات السحرية. فحصنا في الفصل الأول المسألة المتعلقة بتمثل الزمن, فتطرقنا إلى تقسيمات الوقت. و قد عالجنا في الفصل الثاني تمثل الفضاء في المعتقد الشعبي فربطنا أولا بين الفضاء و فكرة الجن ثم بفكرة الأولياء. وتعرضنا في الفصل الثالث إلى فكرة الاطلاع على الغيب أو الكهانة. و لما كان "الطالب" متواجدا على شكل خيط أفقي en filigrane في جميع عناصر البحث ارتأينا أن نخصه بالفصل الرابع فتناولنا تكوينه ثم كمداو ثم كمتدخل في تسيير العملية الجنسية.

# الفصل الأول
# الزمن أو تمثل الوقت

## الجزء الأول: تقسيم الوقت

### مقـــدمــــــة

نتطرق في هذا الفصل إلى الوقت كعنصر من الذهنية و الممارسات السحرية انطلاقا من اعتبار بعض الأوقات ملائمة و أوقات عكس ذلك فنعالج أولا المفهوم العام للوقت في المعتقد الشعبي لنتطرق بعد ذلك إلى الميزات السحرية لأيام الأسبوع.

### 1 ملاحظات عامة

هناك محافظة كبيرة على الالتزام التقليدي بمختلف الاحتفالات أو ما يشبه تأثيرا يمارس من طرفها على دورة الحياة .نذكر هنا على سبيل المثال عيد الأضحى الذي تلتزم فيه الكثير من العائلات بأداء الشعيرة الأساسية المتمثلة في ذبح كبش بالرغم من ضعف مواردها, بل هناك من يذهب إلى الاقتراض. بعض الأباء يقولون إنهم لا يستطيعون ترك أطفالهم بدون شراء كبش العيد أمام الجيران. و يرجع هذا إلى الأهمية المفرطة التي نوليها إلى ما يقوله الغير عنّا, وهذا يتجلى في المثل: "فوت على عدوك جيعان وما تفوتش عليه عريان"[1] فالجوع حالة سلبية يمكن إخفاؤها بينما بساطة اللباس حالة ظاهرة لا يمكن إخفاؤها و هذا ما جعل بيار بورديو يقول عن المجتمع الجزائري أنه " بالنسبة للأذواق الاجتماعية فتلبيها حياة عامة مؤدبة و مقننة جدا و التي يهيمن عليها الخوف من رأي الآخرين "[2]. فالمظهر الخارجي مهم جدا في تشكيل الشخصية.

يبين الاحتفال بعيد الأضحى أن الشخص ملتزم بواجباته اتجاه يوم مقدس و عليه فإن السنة تعيد في تاريخ ثابت ممنوعات يجب الوقوف عندها وممارسات يجب أن لا تنسى خشية أن يكون التفريط في عادة الأجداد جالبا للأحزان و الغبن

---

[1] عريان . يقصد بها بساطة الثياب و التي تعتبر دليلا على حالة اقتصادية مزرية.
[2] P. Bourdieu "Sociologie de l'Algérie" puf.Paris 1958 PP65-68

للذين يدانون بهذا العمل. و لقد لاحظنا في الأوساط الشعبية بعض الممارسات تتعلق بهذه الشعيرة فالسيد ب. فعلى سبيل المثال يمتنع السيد ب. البشير فلاح قاطن ببني بوبلان و جميع أقاربه عن استهلاك لحم الأضحية أول يوم العيد وتسمى هذه الظاهرة بالطيرة أو التطير.

تعتبر الطيرة تحريما أو منعا, ذلك أن عائلة تفرضه على نفسها لتزامنه مع حادث أليم أصابها. فهناك من يمتنع عن فعل شيء في وقت معين مثلما ذكرنا كالامتناع عن السفر، عدم استهلاك طعام معين، عدم ارتداء ثوب معين أو ذو لون معين. يمكننا إذا ترتيب الطيرة مع ظاهرة الفال.

الدورة الزمنية تفرض استعمال رزنامة و نلاحظ استعمال اثنين في الجزائر. الرزنامة الأوروبية التي فرضها المستعمر و المستعملة في الإدارات, تضبط تقريبا كل النشاطات فنقول انها تسير الحياة المدنسة. لكن في المجال الديني والتعليم المرتبط به، و كل ما يمس بأشياء العقيدة تتبع فيها الرزنامة الإسلامية.

يفرض الكثير من مدرسين التعليم الثانوي في الأدب العربي، التاريخ والعلوم الإسلامية كتابة التاريخ اليومي على الشكلين حتى يظهروا ارتباطهم بالتقليد والتمرين نفسه يظهر عند الإعلان عن مواقيت الصلاة في التلفزيون. و هناك رزنامة ثالثة تخص النشاط الفلاحي. و بغض النظر عن هذه الرزنمات الثلاثة "الملاحظة تشير لرزنامة أخرى تدخل في النسيان و التي حفظت بشكل جيد في العلوم الخطية إنها الرزنامة الخاصة بالسحر، و التي من خلالها للجن أو الأرواح القيام في كل ساعة أو يوم أو شهر أو فصل...في كتب السحرة، الفصول الأربعة تسمى غالبًا التقوفات الأربع.[1] إن هذه الكلمة مشتقة من التقاف و الشبيهة برزنامة كانت تظهر كل سنة في المناخ almanach تحت إمضاء ج شحادة كانت تشير عند

[1] تقوفات تقسيم السنة إلى 4 أجزاء

الجالية اليهودية تحت اسم دقوفات، لبعض الساعات تنعدم فيها الحراسة الروحانية على الماء و بالتالي يمنع شربها"[1]

أما في بني سنوس فإننا نجد مجموعة من المعتقدات الخاصة بأمطار النيسان. هذه الكلمة غريبة على اللغة العربية و توجد في رزنامة اليهود.

يشخص المنطوق الشعبي الوقت. فالزمان ليس قياسا للمدة، و لا يمثل الظرف المتحول، و كأن بيده كيس من الخيرات. فالزمان من الصنف الذي يوزع خيرات هذا العالم. انه في علاقة دائمة مع "السعد" (الحظ), تظهر لنا القصص هذا الدور(هذه القصص ليست موضوع بحثنا) و كذلك كثيرا من العبارات المتداولة مثل "الزمان ما يظلمش"، "راني مع هذا الزمان" بمعنى في صراع مع مشاكل الحياة، هذا المعنى مدعم بنعت يتبع الزمان يسمى المكفوح " راني مع هذا الزمان المكفوح ".إن الزمان الموزع للخيرات بالنسبة للبعض خصم يجب التغلب عليه بالنسبة للآخرين و ذلك خلافا للسعد الذي يدل دائما على الحظ السعيد. يمثل الزمان المصير الفردي, له غالبا معنى سلبي " هذا الزمان – وجه الزمان" عبارات ينعت بها شخص يجلب المهالك. في بعض المرات، الزمان حسي أو شيء، تبعا للهيئة التي يتخذها. يقال عامة في التكلم عن شخص تعس في مساعيه "الزمان الراقد " و عن شخص سعيد " الزمان واقف" إنها من خصوصية الذهنية التي تجمع فكرتين متضادتين بدون حرج.

الذهنية السحرية تقيم علاقات معينة بين مختلف تقسيمات الوقت والكواكب، العناصر و المعادن.

لا نستطيع في دراستنا هذه الاهتمام بتاريخ هذه الأفكار لأن ذلك يأخذ حيزا كبيرا و إنما سنكتفي بعرض موجز لهذه المعتقدات القديمة التي تقيم علاقة معينة بين الكوكب و اليوم. عند الشعوب الأوروبية مثلا الأحد كوكبه الشمس، طبيعته الحرارة و الجفاف و معدنه الذهب؛ هذه المعاني تجمعها كلمة Sunday.الاثنين

[1] J. Desparmet. Ethnologie de la Mitidja in Revue Africaine n° 59 1918 P24

كوكبه القمر (Lundi بالفرنسية).طبيعته البرودة و الرطوبة, و الفضة معدنه. الثلاثاء كوكبه المريخ ( Mardi بالفرنسية) طبيعته الحرارة والجفاف, و القصدير معدنه، الأربعاء كوكبه عطارد( Mercredi بالفرنسية)، طبيعته ممزوجة، و الزئبق معدنه. الخميس كوكبه زحل ، طبيعته الحرارة والرطوبة، و النحاس معدنه. الجمعة كوكبه الزهرة، طبيعته البرودة و الجفاف، ومعدنه الحديد. السبت كوكبه المشتري، طبيعته البرودة و الرطوبة، و الرصاص معدنه.[1]

باستثناء المعادن النفيسة الذهب و الفضة فإن القصدير، الزئبق، النحاس، الحديد و الرصاص معادن تستعمل في العمليات السحرية.

أما بالنسبة لأيام الأسبوع العربي فنجد علاقة بين الأيام و الأعداد: فالسبت احتفظ بالكلمة العبرية و الأحد مشتق من واحد و الاثنين من اثنان و الثلاثاء من ثلاثة و الأربعاء من أربعة و الخميس من خمسة [2]. الجمعة مصدرها جمع ذلك أنه يوم عيد أسبوعي للمسلمين أي اليوم السابع و لعل هذا ما يفسر الصبغة سحرية للعدد سبعة لأنه يجمع كل خصوصيات الأعداد الأصغر منه.

و انطلاقا من هنا نستنتج أن طبيعة كل يوم تبدو محددة بالعنصر المنسوب إليه. "الطلبة" السحرة يقسّمون أيام الأسبوع بين الأربعة عناصر: " للنار يعود يوم الأحد و الثلاثاء حتى الظهر (علاقة بين النار و الشمس و الحرارة)، للأرض الأربعاء والجمعة حتى الظهر، للهواء الأربعاء حتى الظهر و الجمعة من الظهر حتى المغرب و كذلك يوم السبت، للماء الاثنين (البرودة)، الثلاثاء من الظهر حتى غروب الشمس و الخميس من الظهر حتى الغروب"[3].

الملاحظ أيضا أن هناك علاقات موجودة بين الاتجاهات الأربعة. الشرق كونه جهة مطلع الشمس و القبلة اتجاه يتميز بخصوصيات سحرية. كانت العرب

---

1 J.Desparmet ibid pp 24-25.

2 لسان العرب الجزء الصفحة

3 Desparmet. ibid , p26

تعتقد أن الطير إذا انطلق اتجاه الشرق فذلك فأل سعيد، في الحالة المعاكسة فإن ذلك ينذر بأحزان على وشك الحلول .

إن أشكال الكتابة لها علاقة مع الأجزاء المختلفة للوقت، الحروف تعتبر ذات جوهر إلهي. تفسير التأثير الكبير للحروف في العالم المرئي و العالم المخفي ."أعلم أن الله أرسى سر الأنوار و العلوم بمقدار في الحروف الثماني و العشرون و بها يوجد العرش العلوي و العرش السفلي و اللوح (الذي كتبت عليه الأقدار) و القلم (الذي يكتبها) و بها أرسى في الطبيعة السكون و الحركة و المعادن و الحيوانات والنباتات و العناصر الأربعة...و فصول السنة و شهورها و أيامها و ساعاتها ودرجاتها و دقائقها و ميقاتها القمرية"[1] كل شيء راجع لهذه الحروف.

تعود هذه النظريات إلى الاعتقاد الديني المكون لجوهر الأشياء حيث خلق الله الكون بحرفين إذا أراد لشيء أن يكون إنما يقول له كن فيكون. و الأمر ليس بجديد إذ كان أكثر أهمية " الدور الديني أو أولا السحري للكتابة، الكتابة في الأصل كانت لها صبغة سحرية...عند المصريين و كانت تعتبر هبة إلهية... الرموز الهيروغليفية ليست مجرد خطوط، إشارات، صور: إنها حقائق حية...الكتابة كانت إذن في بعض البلدان امتيازا لبعض الفئات الاجتماعية. "[2]

يتجلى تقديس الكتابة خاصة عندما نرى قطعة ورق على الأرض إن كان عليها كتابة بالخط العربي فيجب أن لا تداس, فيلتقطها البعض من الناس ويضعها البعض الآخر في مأمن عن كل شيء يتنافى و الروح الأخلاقية. و سبب هذا التصرف هو الخشية من ارتكاب إثم إذا ما أتت أقدام الشخص على آية قرآنيـــة و هذا نابع من الإيمان بقداسة كل حروف الكتابة لأنها تدخل في تكوين كلمة الله و أسمائه الحسنى. كما يمتنع الفرد عن التكلم و إدخال نصوص مقدسة إلى بيت الخلاء و يرى البعض البركة في هذه الرموز لأنها ذات قوة مؤثرة. و يشمل هذا

---

[1] القزويني عجائب المخلوقات نقلا عن ديبارمي في المرجع السابق ص28.

[2] A Cuvillier , manuel de sociologie P U F Paris 1970 p1023 .

" التقدير كل رمز تخطه يد إنسانية حتى و لو لم تكن من أية لغة، أريد أن أقول بأن الأشكال التي نجدها في المربعات السحرية التي تسمى (من طرف الطلبه) السرياقية ... يبدو أنها من السحر البيزنطي أيام الرومان"[1].

إنها دائما البركة أو القوة ذات الأساس الإلهي التي تعلل الدور الذي تتمتع به الحروف. تستعمل الطريقة التالية في استطلاع الغيب ( التقزان ) و تؤكد الملاحظات السابقة. يتقدم المريض "للطالب" للاستفسار عن الضرر الذي لحق به، "الطالب" الساحر يكتب اسمه، اسم أمه وكذلك اسم اليوم الذي شعر فيه بتدهور حالته لأول مرة, يحول الحروف المكونة لهذه الأسماء الثلاثة إلى قيمتها العددية، من مجموعها يطرح العدد سبعة عدة مرات مناسبة لاحتوائه في هذا المجموع: العدد الباقي يبين "للطالب" الرقم الذي يجب الرجوع إليه في كتابة البروج الفلكية و به يجد طبيعة المرض سببه وعلاجه. الاطمئنان الذي تجلبه هذه الطريقة للزبائن يتأسس على إيمانهم بالقوة الخارقة للحروف الأبجدية وعلاقاتها مع الوقت الذي ظهر فيه المرض أو الإشكال.

هذه المعطيات تمكننا من القول إن الاعتقاد في قدرات "الطالب" الخارقة تجد جذورها في الاعتقاد في الجوهر الإلهي للحروف أو الكتابة.

## 2- اليـــــوم

إننا نعرف اليوم وقتا مدنيا يمتاز بفترتين متساويتين من اثنا عشر ساعة، فترة الصباح تبدأ من منتصف الليل وفترة المساء تبتدئ من الزوال .

"الطلبه" و العاملون بالسحر بقوا أوفياء لزمن يمكننا أن نسميه سحريا دينيا يفرقون بين اثني عشرة ساعة ليلية تبدأ من الغروب. الفترة اليومية مقسمة إلى أوقات عددها سبعة: أولها الفجر وتدخل في حيز هذه الفترة الساعات الأولى من الصباح و فيها يصلي الشخص صلاة نافلة ثم تأتي فترة الصبح و التي تزامن طلوع الشمس و فيه صلاة مفروضة و يلي ذلك الضحى و هو النصف الرياضي بين

[1] Desparmet .op cit,p 31

طلوع الشمس و مرورها في الذروة و فيه صلاة نافلة و بعده الظهر و فيه تكون الشمس في الذروة و فيه صلاة مفروضة و يليه العصر و هو الوسط الرياضي بين مرور الشمس في الذروة و غروبها و فيه صلاة مفروضة و بعده العِشاء وهي فترة دخول الليل.

هذا التقسيم لليوم مرتبط بالأوقات الأساسية للتحولات اليومية للشمس. إضافة إلى ذلك فبعض الصلوات لها امتيازات خاصة مثل صلاة الفجر. البعض يعتقد أن المحافظة على مواقيت الصلاة تمكن من الوصول إلى الولاية و بالنسبة لبعض "الطلبة" فإنها تمكنهم من الحكمة أو العلم العلوي.

إن تعميم استعمال الساعة كمقياس زمني لا ينسينا أنه كانت ثمة طرق تستعمل لقياسه. كان الوقت يقاس بمشي مسافة معينة على هذه الطريقة، "الطلبه" يقيسون حتى اليوم الدقيقة بالمدة التي تتطلبها قراءة صورة الإخلاص و يعتبرون استعمال هذه الطريقة في عملية تطبيبية أو سحرية ذات فوائد جمة. تواصلت هذه الطريقة لسهولتها و قيمتها الروحية. في نفس السياق نشير إلى وجود طريقة طبيعية لمعرفة الوقت خاصة عند الأميين متعلقة بصوت الديك أو "السردوك". تعتقد بعض النساء إلى يومنا هذا أن هذا الحيوان يؤذن سبع مرات في اليوم بالضبط و في أوقات الصلاة. هذا الاعتقاد شائع بحيث يقال "الديك يؤذن" هذا يدخل في الاعتقاد بأن الحيوانات ترى الأرواح و تتلقى تأثيرات الظواهر الجارية في عالم الجن و توصل إلينا صدى ما يقع.

تفرق النساء بين أيام سعيدة و أيام تعسة و بين ساعة حسنة و ساعة سيئة(الساعة بمعنى المدة). نفهم من هذا أنها ساعات تفرض نفسها على النشاطات فتمكن من الفعل الحسن أو السيئ. يمكن استخلاص من الأسماء المعطاة للساعة السيئة بعض ميزات هذه الفكرة, إنها تنعت "بالنكسة" لأنها تقلل من العمل الذي يقام به, "واعرة أو وعرة" لأنها تجعل العمل صعبا، أو "سخونة" أي حارة, " تغم" أو "ضيقة" تولد شعورا بالكآبة. و يرجع هذا للإحساس الذي تولده بمرورها. تؤكد

النساء ملاحظتهن تأثير الساعة السيئة على طبيعتهن (الخاطر) فتستعمل عبارة "خاطري ضيق أو ضيقة الخاطر" و التي تتجاوزها بزيارة الأهل أو الجارة.

ويظهر نفس الاعتبار عند "الطلبه" الذين يتعاطون السحر،تكون الساعات سيئة أو حسنة تبعا لعلاقاتها مع الأفلاك و كل واحدة مرتبطة بكوكب و كل كوكب مرتبط بساعة يضاف إليها جن و يقال عنه إنه يسير هذه الساعة.

| الساعات | الكواكب | التأثيرات | الجن | التأثيرات |
|---|---|---|---|---|
| 01 | الشمس | _ | بركان | _ |
| 02 | الزهرة | + | البحريق | + |
| 03 | المشتري | + | يعقوب لحمر | + |
| 04 | القمر | + | بركان اليهودي | _ |
| 05 | عطارد | _ | شمهاروش | + |
| 06 | زحل | + | ميمون لبيوض | + |
| 07 | زحل | _ | ميمون لكحل | + |

كذلك الليل يقسم إلى سبعة أجزاء متساوية تسمى ساعات مع نفس الترتيب و نفس التأثيرات كما هو مبين في الجدول أعلاه [1].

و يتداول "الطلبه" بعض الأسماء مثل الندرومي، الإمام ابن سعيد، المراكشي، الاصفهاني، السبتي، القرطبي، و لكنهم يجهلون مؤلفاتها.

يعتبر "الطلبه" النسق الذي يعرضونه كنسق يتوخى الصبغة العلمية ميزته الأساسية أنه مؤسس على تأثير الأفلاك و الجان و الارتباط الذي بينهم. الكوكب الذي تمكن من الحفاظ على امتياز مقدس في التصور الشعبي هو الشمس, ربما بفضل الدور الذي تلعبه في تحديد مواقيت الصلاة و تتابعها.

[1] J.Desparmet op cit 26

و من الظواهر التي تبرز تقسيم اليوم إلى فترات حسنة وفترات سيئة تلك التكهنات التي تربط بين مستقبل المولود و لحظة ولادته المحددة بوضعية الشمس فالمولود عند الفجر مجلبة للسعادة بالنسبة للوالدين يكون ذو سلطة و حياته كلها رفاهية و الذي يولد عند الفجر يكون رجل أعمال ماهر لا يعرف الفشل و يمتاز بالسخاء و أما الذي يولد عند الضحى تكون حياته صعبة إذ أن يتعب كثيرا لكسب عيشه و المولود عند المغرب يكون غنيا و شجاعا مثله مثل المزداد عند العشاء إلا أن هذا الأخير يكون فكره واسعا. و من يولد عند منتصف الليل أو في الثلث الأخير منه فمشاريعه تتحقق ويعيش في الرخاء. و في نفس الصدد تعتقد النساء انه من يولد عند الغروب يكون "مربوحا" و يكون المولود صباحا تعسا. ربما هذا يعود إلى التقاليد الرعوية: يخرج قطيع الغنم المسمى "المال" من "الزريبه" في الصباح ليعود في المساء: التنبؤ هنا له علاقة ببنية اقتصادية معينة و من الناحية المعرفية يمكننا أن نسمي هذا بالتفكير التماثلي.

و لقد أدى هذا الاعتقاد في تميز بعض الساعات اليومية إلى اعتبار الصباح الفترة المناسبة لزيارة الطالب إيمانا بأن النص المقدس من حرز. أو طلاسم المكتوب بعد العصر ضعيف القوة و حتى إن كان مؤثرا فبضعف أو لمدة قصيرة. ترتفع القوة السحرية لكتابات مخطوطة عندما تكون الشمس في صيرورتها التصاعدية و تأثيرها يكون كاملا و تكون طاقة المكتوبة أثناء الحركة التنازلية للشمس قليلة. و هناك عدد من التابوهات متعلق بالأوقات اليومية .يقال أن رواية الحكايات في النهار مضرة بالراوي و بالمستمعين لأن الأبناء يصابون بالقرع و على الأمهات أن لا تترك ثياب الرضع خارج البيت بعد العصر و أن تجتنب الاستحمام لأن ذلك يؤدي بالطفل إلى البكاء و تسمى الظاهرة "الشحنة ". كما يقال بعد العصر أنه يحضر نفسه لمستقبل بائس. عن الكسول الذي يواصل القيلولة فالقيلولة الممتدة لبعد العصر لا تجلب إلا الفقر حسب المثل الشعبي القائل: الي

يرقد بعد العاصر ينوض(ينهض) خاسر" و عند البعض فإن التجربة تؤكد ذلك، فالذي يواصل السبات بعد العصر يحس بثقل جسمه و عدم اتضاح فكره.

تفسير هذه التابوهات المتعلقة ببعض الأعمال بعد العصر يجد تعليلين في المعتقد الشعبي. التعليل الأول يعتبر هذا الوقت بداية للحركة عند الجن و التعليل الثاني هو أن نور الشمس يبدأ في النقصان و بالتالي تقل البركة.

و خلاصة القول إذا بحثنا في الأسباب التي من أجلها تكون الساعات مناسبة أو غير مناسبة لفعل ما أو حدث، نستنتج ثلاثة أنواع من التأثيرات: الأولى تأثيرات المعتقدات الفلكية القديمة التي احتفظ بها جزئيا و ثانيا بعض الأعراف الاجتماعية أو الاتفاقات العائلية التي اعتبرت كنوع من المبادئ الدينية و ثالثا التأثيرات الدينية.

## 3 الليل

الليل يسبق النهار؛ إنه نسق يجعل البداية عند غروب الشمس أو الأمسية. هذا الاعتبار مؤكد في القرآن الكريم " ومن رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"[1]. في الكلام يقسم الليل إلى جزأين متساويين يفرق بينهما ثلث الليل.

إن المعتقدات و الممارسات المتعلقة بالليل تمتاز بمقاومة أكبر من التي تتعلق بالنهار فظلمته تخفي أسرارا و غرائب و في صمته يتكلم التفكير بقوة أكبر و في هدوئه تتأجج الحياة العاطفية و في عزلته يكون الخيال في حرية.

ذكرت لن السيدة ح.خيرة أنها لا تعطي شيئا لجارتها ابتداء من صلاة العصر و إن فعلت ذلك فإنها ترى على وجوه أطفالها أقراصا أو قشورا تسميها "ضر الخميرة " و تدل هذه العبارة العامة على بعض الأمراض الجلدية و أضافت بأن النساء كن يمتنعن عن إعطاء جمرة أو نار المصباح ابتداء من غروب الشمس

[1] سورة القصص الآي رقم

لأن، هذا الفعل يجلب الخراب للبيت. و هناك نصيحة تنسبها إلى الرسول صلى الله عليه و سلم تنص على منع الأطفال الخروج من البيت عند غروب الشمس وتستعمل النساء لفظة " المغارب". ينبه دائمًا على الامتناع عن اللعب بعصا أو ما يشبهها و عن شرب ماء لم يغط في الليل لأن الأرواح قد تعبث به. كما أن أشغال البيت مكروهة ليلا و لرجل يلبس ثوبا جديدا و يبدو قلقا يقال له " ربما ثوبك فصل بليل" فيقول الشخص "راني أكحل" أو "راني ظلمة" أو "باغ نقطع قشي" و يمكننا القول بأن اليوم مقسم بين الجنس البشري و الجن. النهار للبشر و الليل للجن.

## 4 الأسبوع

تعتبر الأيام في بعض المرات كهيئة, تتمثل كحقائق مادية مستقلة عن التحولات أو الحركة الفلكية للأرض و الكواكب. "أيام ربي" تتمتع بنوع من الشخصية المقدسة, لها أحاسيس و تنتقم ممن لا يقوم بواجبات نحوها كما يقول المثل " أيام ربي ما تعاديها ما تعاديك" و يقال هذا المثل للتحذير من عواقب انحراف السلوك.

نلاحظ ثلاثة أنواع من الأسابيع لا تختلف إلا باليوم الأول. ثلاث وجهات نظر سارية حول اليوم الأول للخلق. الأكثر شعبية, هو الأسبوع الذي يمكن أن نسميه يهوديا يبتدئ بالأحد و ينتهي بالسبت, إنه يحمل تسمية ترتيبية، الأحد (الأول) الاثنين (ثاني) الثلاثاء (ثالث) الأربعاء (رابع) خميس (الخامس) عدا يوم الجمعة. احتفظ السبت بالتسمية العبرية, من هنا فإن الأحد أكثر ملاءمة للبناء " خصص الكتاب العرب الأولية ليوم الجمعة في القائمة كما فعل القزوينى في كتاب "عجائب المخلوقات" فيه يدرس خصائص الأيام. يبدأ بيوم الجمعة و تارة أخرى تختم به القائمة في فكرة أن المرتبة الأخيرة تشكل مرتبة شرفية."[1]

[1] Desparmet , op cit p 64

حاليا فإن الجمعة يوم راحة و الأسبوع يبدأ يوم السبت و يبقى الاختلاف فيه موضوعا هاما. التقليديون أو المحافظون و في مسعاهم لمخالفة الأسبوع اليهودي المسيحي وجدوا تلبية لمطلبهم في تخصيص الجمعة كيوم راحة أسبوعية, في الوقت نفسه فإن الاتجاه "المعاصر" أو "اللائيكي" لم ينقطع عن المطالبة بتغيير في هذا الاتجاه لأن هذا التنظيم يمثل خسارة اقتصادية لأن يوم الجمعة يسبق نهاية الأسبوع في جل بلدان العالم. بدون الغوص في هذه الاعتبارات نشير هنا فقط إلى وجود ما يسميه علماء الاجتماع بنوعيين من الزمن: الديني و الاقتصادي.

نشير كذلك إلى أن كلمة الأسبوع العربية غير مستعملة في العامية، عوضت بكلمة سمانة Semana أو بعبارة "من الجمعة للجمعة" بالمعنى الأسبوعي. ثلاثة أنواع من الأسابيع، كل واحد له اليوم النهائي فيه هو اليوم الأساسي،اليوم المقدس للديانات التوحيدية التي وجدت أو تعايشت في البلاد. هذه الأيام هي الجمعة، السبت و الأحد. إنها مشبعة بنوع من القداسة، تعطينا تنوعا في الخصوصيات الفلكلورية، ربما الأكثر غنى بهذه العناصر بغض النظر عن الأربعاء، الذي بصفته أهم يوم يبقى مركز جدب المعتقدات الخرافية يمكننا أن نرى فيه يوم عيد لديانة رابعة اقل علانية و لكنها منتشرة و أكثر قِدَما "الآنمية"[2].

[2] J.Desparmet ibid p 65

## الجزء الثاني: أيام الأسبوع و الممارسات المتعلقة بها

### 1- الأحد و سحر الجنس

حمل الجن الذي يتحكم في الأحد اسم "بركان"، كجن الأربعاء الذي يختلف عنه بصفة اليهودي و سمي "لمذهب" في علاقة مع معدن الذهب, فالذهب معدن الأحد و الشمس الكوكب المرتبط به حسب مبدأ أن العمليات السحرية يجب أن تستعمل المعادن المناسبة للأفلاك. و لون "لمذهب" هو الأصفر.

يمتاز السحر الرجالي بانسجام أكبر في تناسب الأوقات لاعتماده إلى حد ما أدبيات متميزة، لكن في ما يسمى علم النساء فإن الأسباب التي تحكم الاختيار غير بادية, فلا تتردد أي داهية أو ساحرة أو مجرد عقيسة أو امرأة تجربة حول مسألة تناسب اللحظة مع عملية سحرية ما, لهن حس خاص حول الترتيبات الزمنية. في هذا المجال ترشدهنّ التقاليد و لكنّ الاختراع عند الضرورة مقبول حسب ما يناسب الذهنية السحرية و التي سنتكلم عنها بشيء من التفصيل.

الأحد في العامية ينطق "الحد" و الذي يعطي جمع حدود بالمعنى الحقيقي للكلمة و هو النهاية. له معنيان, معنى يشير إلى يوم الأسبوع و معنى يشير إلى حد أو نهاية. من بين الأمثال نشير إلى هذا " نهار الحد ما يبقى حد ".و معناه إذا أتى اليوم الأخير أو الأجل (الحد) لا أحد يبقى ويقال هذا المثل حول حوادث تقع يوم الأحد. من هنا نلاحظ تلاعبا بكلمات (تطابق المخرج و اختلاف المعنى) هذا التعدد المعنوي Amphibologie يولد مبدءا طقوسيا في سحر النساء. ولقد أخبرتنا السيدة ح . خيرة بأن يوم الأحد مخصص للقيام "بالحديدة" لمداواة ركبتي الطفل المعوجة رجليه. تستعمل قطعة حديدية لرسم سوار على قبضتي يدي المريض ذلك أن كلمة الحديدة مصدرها حد و يوم الأحد يصبح اليوم النهائي. و كذلك لاستخراج أدى أو "ضر" يرمي المصاب الشيء الذي علق به السحر في حد من

حدود حقل , خارج القرية أو المدينة. و كذلك لعمليات يراد منها وضع حد لحالة معينة. لكن السبت بكونه اليوم الأخير في الأسبوع اليهودي له المهام نفسها. اليومان المتنافسان يقتسمان المهام غير أن الأحد هو الذي يختص بكل العمليات السحرية المرتبطة بالتكاثر و خاصة المسائل المتعلقة بالأمومة.

نهتم هنا بثلاثة أغراض في العملية التكاثرية:

1.1- التجليب

1 2- الكره

1.3-الربيط و فيه قسمان: القسم الأول متعلق بمنع العملية التكاثرية و الثاني يؤدي الأعضاء التناسلية.

## 1.1.- التجليب أو سحر الحب

نذكر منها بعض الممارسات التي من شأنها توليد الحب في قلب رجل أو امرأة . و يكون الواحد منها صعب المنال لظروف اجتماعية معينة.

### 1.1.1- سحر القوس

في الجهة العلوية من باب الغرفة في البيوت القديمة خاصة في الأحياء العتيقة للمدينة و كذلك الأحواز (أوزيدان، عين الحوت، عين دوز، الحنايا...) مكان يمكننا أن نسميه عشا يشكله القوس. إنه يلعب دورا كبيرا في الطقوس المتعلقة بالجن المنزلي و يستعمل في المعتقد الشعبي كموقع لهم.

العاشقة ليلة الأحد تقف تحت القوس بعد تنظيف المكان و تقول سبع مرات:

قوسي يا لعابس - يالي كنت أخضر من بعد أرجعت يابس

اشحال( كم ) دخلت من عرائس - و اشحال خرجت من فرايس(الجثث).

أتجيب لي سعدي - و لو كان في البحر غايس.

سعدي بين السعود - أيجيني و الناس رقود

اللي(الذي) من سعدي يسعاني – من الأحرار و إلا من العبيد.

بعدها تذهب الفتاة إلى النوم مع الامتناع عن الكلام لأنها بالالتجاء إلى "دوك الناس" دخلت في "ضمانتهم" و إلا عرضت نفسها للقمع.

### 1.1. 2- عمليات سحرية أخرى المراد منها التجليب

ليلة الأحد، تبخر البيت(التبخار أو التبخيرة هو إنتاج دخان باستعمال"المجمر" أو "البوجوال" و هو إناء من طين توقد فيه النار .كان يستعمل في التدفئة و الطبخ قبل انتشار الغاز المميع.توقد به نار ثم يرمى على الجمر خليط من المواد تسمى التبخير (و قد تكون مادة واحدة) بنبات الزعتر و تقول مائة مرة ما يلي:

سلمنا عليك بالزعتر – الناس يسموك الزعتر و أنا نسميك المخنتر.

يا النايض في الكدر الأحمر – فات عليك السبع بزهيره – وفات عليك الديب بأنيابه

وفات عليك النبي بعلاماته – أتحوم أمحبت فلان كما تحوم الطير على امباته

– يحضّر ليلا البوبال[1] الأبيض و يحرق البرنجوف فقط. و على التي تريد الاستفادة من هذه العملية أن تقول سرا:

بورنجوف يا بورنجوف – سلامي عليك يا برنجوف –

الناس يقولوا لك بورنجوف –و أنا نقولك الجن المخطوف –

تخطف لي عقل ولد فلانة بين الرية و الجوف–

أو ما يجي لي غير يحوف – كما حاف الجمل على الشرشوف –

أو كما يحوم الحمام على لرفوف – أو كما يتمشى الحنش في السقوف

و يحنحن علي كما تحنحن النعجة على الخروف– يجي يجري في غير غرضه و الناس تشوف[1]

---

[1]البوبال : نبات يستعمل بكثرة في الأعمال السحرية

- و لإيقاظ حب في قلب رجل، ببحث عن شاب, يكون المولود الأول لوالديه و يسمى المزوار (كانت الكلمة تدل على أعيان القبائل يحضرون في القصور الملكية و تدل اليوم على أول مولود في العائلة بعكس "المازوزي" و هو آخرهم كما تدل كلمة المازوزي بعض الغلاة الفلاحة المتأخرة النضج) لشراء "طجين" من طين من باب دكان بابه مفتوح إلى الشرق. يجب على المشتري أن لا يناقش مسألة السعر[2] و يقال "التشطار". يملأ هذا الطجين بفلفل أحمر مسحوق و يمزج بأكبر قدر ممكن من الملح.و من حين إلى آخر تكرر المرأة التي تريد الاستفادة من هذه العملية المقولة الآتية:

بملحي ملحتك و بفلفلي حرفتك -جيب لي فلان و لد فلانة في ذا اليوم و إلا في ذا الليلة و إلا كسرتك.

## 2.1- سحر الكره

يمكن تعريف سحر الكره بأنه توليد إحساس بالكراهية اتجاه شخص معين وخاصة اتجاه الزوج أو الزوجة و يقصد به التفريق بين الأشخاص و يستعمل خاصة عندما تلاحظ الزوجة أو تشك في وجود علاقة بين زوجها و امرأة أخرى

يروي القرآن قصة هاروت و ماروت " واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت و ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه و ما هم بضاربين به من أحد إلا بإذن الله و يتعلمون ما يضرهم و لا ينفعهم و لقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق و لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"[1]

---

1 Desparmet op cit p 92

2 هذا الاحتياط ساري المفعول كذلك في شراء الكفن.

1 سورة البقرة .آية 102

أمران مهمان يمكن استنتاجهما من الآية: أولا أن من بين أغراض السحر التفريق بين المرء و زوجه و في ذلك مضرة على المستوى الشخصي و لكن الخطر أكبر من الناحية الاجتماعية, ثانيا أن السحر يخضع لعملية تعليمية[2].

### 1.2.1- عمليات سحرية المراد منها الكره

أخبرتنا كتابيا السيدة ع.خديجة و هي مدرسة عن عمليات تستعملها النساء التي تريد محاربة شغوف الزوج بامرأة أخرى. تأتي المرأة بالحنتيت فتجعله في عقدة، في الليل تقرب هذه العقدة من فمها و تقول: الحنتيت يا سيد الحنتيت – سلامي عليك يا الحنتيت – يا فراق الأحباب و الأخوات أتتفرق فلان بن فلان من فلانة كما يفترق الميت مع البيت، أتفرقهم واحد للشرق و واحد للغرب – يوم السبت مسبوت و ليلة الحد سحري مثبوت. ثم تخبئ العقدة. فهذا العمل مفيد لأن الرجل الذي يقع تحت هذا السحر يجد في المرأة التي يحبها صورة الغولة كما تروي.

تحصل المرأة على قطعة من أنف خنزير و كذلك فأر كبير يتم ذبحه. يوضع فوقهما مسحوق من مادتين تدعى نكير و تنكير يتم شراءها يوم أحد من دكان موجه نحو الشرق. يضاف إلى الناتج المربوت الحر. يوضع الكل في قماش ليدفن بعد ذلك عند عتبة[3] بيت الزوجين اللذين يراد تفريقهما حتى يتخطياه أي يمرا فوقه. أثناء عملية الإخفاء يقال:

خزنت خنفورة الحلوف – أفلان و لد آفلان ما يروح لبيته ما يطوف – تمامه بمخ الفار هو يعمل بيناتهم الهم و يدير العار و يقال عن شخص يطيع كثيرا زوجته أنه كالي ( بمعنى قد أكل) مخ الضبع أو مضبوع أو كالي مخ الفأر.

و إن كان المراد تفريق العائلة كلية، يلتجئ إلى ممارسة أخرى . "يجلب من خارج الحي أو القرية من أمام حفر النمل التراب الذي يخرجه من غاره و كذلك

[2] انظر قصة موسى و فرعون في القرآن.
[3] ارجع إلى تمثل المكان في الفصل الثاني

غبار يأخذ من أثار قدم يهودي، يمزج الكل فيعطي عجينا و يختار يوم الأحد ليبعثر هذا التراب في البيت مع القول: دريت (أو تريت) لكم تراب النمل ما يكون في هذا الدار غير الصداع و الهم."[1]

يقال عن طفل ثرثار و صعب " تقول كالي تراب النمل". لماذا تراب النمل ؟ المعتقد الشعبي يولي النمل اعتبارا إيجابيا فهو يجلب الخير و الرزق عندما يدخل غذاؤه في بيوت الناس و يكون الاعتبار سلبيا عندما تخرج الطعام من بيت ما.

في يوم التصديرة، تقدم فيه العروس للنساء الأجنبيات عن العائلة في عرض ترتدي فيه كل الملابس التي جلبتها معها ( يسمى مجموع الملابس الشهرة ) و في جميع مراحل الاحتفال توّكل امرأة خصيصا للسهر على عدم رمي تراب النمل أو أشياء من هذا القبيل. هذه العملية السحرية كذلك دليل على الذهنية التماثلية لأن المسألة تعود إلى طبيعة تراب النمل الذي يمتاز بعدم التماسك.

و يضيف نفس الشاهد: تشتري فتاة عذراء من دكان مفتوح نحو الشرق، تبخيرة تسمى التبطيل و فضلات الذئب و تقول المستعملة لهذه المواد:

أخزنتلك التبطيل– حتى حاجة ما تفيد

و أخزنتلك أوسخ الذيب–ألي يخطب فلانة بنت فلانة أيهيب.

تكرر هذه المقولة سبع مرات. توضع المواد في عقدة تدفن في عتبة بيت الضحية التي يراد النيل منها . يسمى هذا الكره كذلك تقاف ولا يؤثر إلا على الفتيات البكر و النساء . لإبطال المفعول يجب على المسحورة الذهاب إلى شاطئ البحر, تحفر عند قدميها حفرة في الرمل بصفة يمكن للموج أن يملأها ماءا. تشرب الماء من موجات مختلفة.و يبلل الجسم سبع مرات. حينما تنتهي العملية، تذهب المرأة عند "القزانة" أو "الشوافة" فتتنبأ لها عن طريق الرصاص الذي يذاب و يضع في الماء و تسمى هذه العملية "ضرب الخفيف": الرصاص المذاب

[1] Desparmet op cit p 93

يتصلب بسرعة في الماء فيتخذ أشكالا متعددة و القزانة دورها يتلخص في تأويل هذه الأشكال.

في المنطوق العامي، نسمع عن رجل يحس بنفور مفاجئ و غير مبرر اتجاه زوجته أو صديق يقال "كلا(أي أكل) رأس البعرة"و تفسير هذه العبارة الشعبية كما أوردتها مخبرتنا كالآتي: عندما تقرر امرأة زرع كراهية عند شخص تتحصل على منجل(أداة فلاحية شكلها نصف دائري تستعمل في قطع سيقان الحبوب) اكتسبه صاحبه عن طريق إرث بعد ذلك تنطق سبع مرات بالقول التالي:

"حشتك بالمنجل – تفرق بين المرأة و الرجل–ما يطول، غير يعجل" الأحد الموالي تكون الفضلات المحصل عليها قد يبست فتعجن مع تراب أسود. تشكل بعد ذلك قريصات تضعها فوق جمر متأجج من حطب شجرة الدفلة التي تمتاز بطعمها المر. تحافظ على تأجج النار برمي مواد ذات الطعم نفسه. عندما تحمر القريصات كما يقال تقوم بعملية الطفية (من الإطفاء) بوضع هذه القريصات في الماء لمدة عشر دقائق. في هذه اللحظة يصبح المشروب جاهزا ولا يبقى إلا أن يشربه الشخص الذي يراد سحره. يعتقد أن كل من بشربه يولد لديه إحساس بالكراهية الشديدة اتجاه الشخص الذي عيّن لهذه العملية.

## 3.1- الربيـــط

عندما يتعلق الأمر بإيقاف خصوبة متعبة، محرجة أو خطيرة، و يوم الأحد يختار للأفعال "الديمغرافية" حسب العارفات المحترفات. و كل العمليات التي نذكرها فيما يلي استقيناها من عند ص. عيشة و هي إحداهم, تقطن بحي يدعى حوش الواعر و تحترف هذه السيدة "القزانة".

### 1.3.1- عمليات سحرية المراد منها الربيط:

– والعملية الأولى تسمى ربيط الولادة و تهدف هذه العملية إلى إيقاف الخصوبة عند المرأة. تجري هذه العملية في السطح فيؤخذ "قرص المغزل" (أداة تقليدية

تتكون من قرص من الفلين يخترق مركزه عود رقيق من شجر الزيتون تستعمل في الغزل) و يترك طيلة الليل تحت النجوم من يوم السبت مساءا إلى يوم الأحد صباحا. عند طلوع الشمس، تأخذه المرأة و تضعه على عينها اليسرى و الرأس مطأطأ فتذكر ما تراه من خلال ثقب القرص بعدها تقول:

ولادتي و ولادة فلان إلى ربطت ماشي العدة إلى حسبت.

قد من شيء حسبته قد من سنة ما نولد شي.

– يشترى من دكان مفتوح للشرق، مرآة بغطاء من حجم صغير, يبعث لهذه المهمة شاب "مزوار أمه". المستفيدة من العملية تأخذ قطعة حرير أحمر متقايسة مع طولها و تبلل الخيط بدم الحيض فتأخذه و المرآة في يديها و تقف على عتبة غرفة مفتوحة للشرق ثم تعقد الخيط قائلة : "ماشي الحرير ألي عقدت ولادتي و ولادة راجلي ألي ربطت".

عدد العقد يكون بنفس عدد السنوات المراد التوقف فيها عن الولادة. تدخل خيط الحرير في غطاء المرآة و تضع الكل في ثقب تشقه في حائط بالبيت. فإذا أرادت بعد ذلك استرجاع قدراتها، يجب عليها أن تحل العقد قائلة عكس ما كررته من قبل و إذا قررت عدم الإنجاب نهائيا ترمي بالمرآة بعيدا حتى لا تتمكن من العثور عليها من جديد و عليها اجتناب الالتفات إليها عندما ترميها.

– يقوم طفل أو شاب أعزب بنزع بعض الشعر من ذيل البغلة لفائدة السيّدة التي تريد توقيف خصوبتها و عليها أن تبلل هذا الشعر بدم حيض بخلاف و عليها أن تغمض عينها أثناء العملية. بعد ذلك تعقد حزمة الشعر عددًا من العقد بعدد السنين التي ترغب التوقف فيها عن الولادة مع القول كل مرة:"ماشي السبيب ألي عقدت ضناية فلانة بنت فلانة ألي عقدت."

إذا أرادت أن تلد مجددًا فعليها غسل هذا الشعر وحل العقد في غرفة مفتوحة اتجاه الشرق قائلة:" ماشي السبيب ألي حليت ضناية فلانة بنت فلانة ألي حليت."

- يطبخ في الطاجين عدد من البيض بعدد السنوات التي تريد المرأة الإمتناع فيه عن الحمل. تمارس هذه العملية أثناء النفاس. عند انتهاء المدة تأكل النفيسة البيض. تعاد القشور في الطاجين الذي يتم غلقه و إخفاؤه في مكان معين من البيت مع القول:

" ماشي الطجين ألي خزنت ولادتي و ولادة راجلي ألي ربطت".

إذا أرادت الحمل من جديد فعليها إخراج الطجين و طهي نفس عدد البيض وأكله.

- المرأة النفيسة التي تريد الامتناع عن الحمل تشرب من دم النفاس يوم الأحد مع القول :

ماشي دمي ألي شربت ولادتي و ولادة راجلي ألي ربطت.

شربتها يوم الحد ما نزيد نولد حد.

هذه الممارسة معروفة جدا و يقال عن امرأة لم تنجب أطفالا "كلات أولادها في كرشها" بل و إن هذا من عبارات الشتم التي نسمعها في المناوشات بين النساء "يا التيناشا، يا اللي كليتي أولادك في كرشك"

- المرأة التي تريد الإقلاع نهائيا عن الحمل تستعمل ما يسمى "الربيط على الحبة". يتم طهي الشعير على ظهر الطاجين تقطر فوقه سبع قطرات من دم حيض بتعصير ثوب داخلي. تجلس مقابلة بغلة و تقدّم لها حبات الشعير على ركبتيها أو كما يقال " توكلها من حجرها" و تظن النساء أن هذا يؤدي إلى العقم النهائي.

- يسرق من امرأة عاقر" القفال"( قطعة قماش مبللة يحاط بها الإناء الذي يستعمل للطهي بالبخار أو تحضير الطعام و يسمى هذا الإناء "الكسكاس", يمنع البخار من التسرب في مكان التقاء القدر و الكسكاس). أما التي تريد الامتناع عن الولادة أو منع امرأة أخرى عن المهمة نفسها لعداوة بينهما تغمس "القفال" في دم حيض, تعقد القفال, بعد غلق باب غرفتها. عند الانتهاء تفتح الباب و تشكل عقدة جديدة ثم تغلق الباب الخ. تقوم بعدد كبير من العقد إذا كانت تريد التأكد من العقم النهائي. و إذا

كان غير ذلك فعدد العقد يكون بعدد السنين التي تريد أن تمتنع فيها عن الحمل. و عندما تغلق الباب تقول :

ماشي القفال ألي عقدت ضنايتي و ضناية راجلي ألي ربطت .

ربطتها يوم الحد ما نولد مع حد.

وإذا كانت إرادتها نهائية فعليها برمي القماش في حد أرض، وعليها- و هي عائدة- أن لا تلتفت إلى الوراء. و إذا أرادت أسترجاع ملكتها فعليها أن تقوم بعكس العملية و تقول:

ماشي القفال ألي حليت ضنايتي و ضناية راجلي ألي حليت.

يقول قائل أن هذه العمليات لم يعد لها سبب في الوجود بظهور حبوب منع الحمل و كذا وسائل أخرى. الحالات المذكورة أعلاه تعبر عن إرادة شخصية لتوقيف العملية التكاثرية, مقابل ذلك فإن الربيط وسيلة سحرية يعتقد أنها قادرة على تعطيل العملية التكاثرية كعقاب يوجه ضد شخص يراد به أذى.

يهاب الشباب, خاصة في البادية من الربيط أي الوقوع تحت عملية سحرية تمنعهم من أداء الواجب التناسلي و خاصة ليلة الزفاف. فهذا يعتبر مجلبة للأقويل و الأحاديث. العريس الذي لا يستطيع نزع بكرة العروس ليلة الدخلة يوجه إلى "الطالب" ليفك عنه الربيط.

هناك طريقتان شائعتان تستعمل في ربيط الرجال. الأولى هي طريقة القفل Cadenas ينادى على الشخص فإذا التفت أغلق القفل.و الثانية و هي وضع إبرة في بول الشخص الذي يراد ربطه. و في كلتا الحالتين يوجه "المربوط" نحو الطالب ليفكِ عنه الربيط.

و نستخلص من ما سبق أن هذه الممارسات تقدم نمطا موحدا مكونا من نفس العناصر يمكننا تسميتها ثوابت و نستعرضها كالأتي:

- تمثل مادي للقدرات التكاثرية عند المرأة (خيط حرير،شعر، طاجن، بيض، شعير...)

- تصوير يقلد فعل يوقف هذا الرمز ( عقده، تكسير، تحميص، دفن، تخلص في مكان بعيد)

- تصريح شفوي بأن الفعل الذي تقوم به الممارسة صورة للفعل الذي تريده والذي يعتقد عن يقين بأنه نفد كما ينبغي و من حول هذا الفعل الأساسي تحرس على تحصيل مجموعة، على درجة كبيرة من الكمال الممكن، ظروف مختارة تؤدي عليه التأثيرات الروحية المعترف بها له.

-حالة المشاركين:

- العزوبة
- عقم المرأة التي أعطت القفال
- عقم البغلة

- المكان:

- في حد أرض
- في بيت مفتوح اتجاه الشرق

- الوقت:

- أثناء الحيض
- أثناء النفاس
- انتظار يوم معين (الأحد)

العناصر السحرية التوددية التي نراها في هذه الخرافات تبدي مقاومة شديدة.

- و هذه ممارسة تسمى "تجرية الدم" لا تهدف كسابقتها (الربيط) إلى تعطيل الخصوبة لكن إلى استحالة العملية التناسلية و تجرية الدم ممارسة انتقامية هدفها إيذاء العضو التناسلي النسوي و قد منع الإسلام جماع المرأة الحائض أو بعد الولادة حتى ينقطع النزيف المترتب على ذلك وتصل هذه المدة في الحالة الثانية إلى أربعين يوما و تعتبر المرأة في هذه الحالة غير طهور و تمتنع فيها عن

الصلاة و الصوم و خاصة الجماع مع زوجها. فعملية تجريت الدم يقصد منها بعث نزيف حتى تمنع المرأة من أداء حياة جنسية عادية.

فعندما تريد امرأة الانتقام من مخاصمتها, تبحث أو تستقدم سلحفاة لتستنزفها من الرقبة. تلفها بعد ذلك في أحد الثياب الداخلية للمرأة التي تريد إيذاءها و أخيرا تضع الطرد في مكان معين من المدينة قائلة:

إذا بريت يا الفكرون و رجعت تتمشى- حتى فلانة بنت فلانة تنوض من فرشها تتمشى.

و عندما تضع السلحفاة خارج حدود المدينة، تقع ضحية هذا العمل في فراشها على أن هذا العمل يجب أن ينجز يوم الأحد.

- يبعث شاب لم يبلغ سن الزواج يشتري من دكان مفتوح اتجاه الشرق سبعة مفاتيح و هي عبارة عن إبر غليظة تستعملها النساء في خياطة فراش يسمى "اللحيفة" و يستعملها الرجال و النساء على السواء في خياطة فراش أخر يسمى "المطرح" و أما الذي يخيط المطرح فيدعى "الطراب". و في الحقيقة فإن ما يسمى بالمفتاح هو عبارة عن مسمار كبير في مؤخرته ثقب أو سَم . توضع المسامير"لتبخر"- طهي بالبخار- في"كسكاس" لامرأة لم يعاد زواجها و بالطبع هذا العمل لا يكون برضاها.تلتجئ إلى مكان رطب فتغرس المسامير السبعة مقلوبة تقول سبع مرات: "أعملت و درت (ومنها كلمة مديرة , كلمة شائعة تدل على التأثر بعملية سحرية يجهل مصدرها ومحتواها) تجرية الدم لفلانة بنت فلانة ما تبراش حتى تنشف هذه الأرض و تصبح عطشانة", وتتجنب الفاعلة الالتفات إلى الوراء حين تغادر المكان.

يفرق الياس شاوش مراد في أطروحته حول الحوفي بين " التراتيل السحرية التي تسمى الحريقات[1] و بين القريات(من القراءة) و هي إعادة استظهار بعض

[1]و يقال في جهات أخرى مثل وهران " الحريق"

الأقاويل الغامضة أو آيات قرآنية أو جزء منها أو صلوات خاصة. أما الأولى فميزتها أنها مستعملة خلال القيام بأعمال سحرية مثل التبخيرة (التبخيرة هي إنتاج بخار أو دخان سميك عن طريق حرق مواد مختلفة وفي بعض المرات غير منتظرة : نباتات عطرية، أعشاب للتداوي، حيوانات مفرغة أو قطع منها ،قرن, مواد معدنية.) وهذه العملية تكون عامة في المساء ابتداءً من غروب الشمس. والنوع الثاني يكمن في الخصوصيات السحرية للكلمات المنطوق بها خاصّة إذا ذكر أسم الشخص أو المراد النيل منه، و يلصق الاسم بالقراية" [2]

## 2 الاثنـــيـــن و مميزاته

صاحب اليوم يسمي "البوحريق" أو "موزرا ابن الحارث" و يقال أنه اسم قديم لإبليس و يقال أيضا أنه ابن إبليس, فهو إذا من الشياطين لا من الجن.

الاثنين ينصح به[3] لعدد من العمليات السحرية... يتم فيه استخدام جن من طرف"الطالب" الساحر يتم فيه استنزال الجن في المرآة لاستشارتهم, و إدخال المريض في حالة شبه غيبوبة لمعرفة الداء الذي به و على لسانه يستنطق الجن الذين يتم إجبارهم على تفسير الحالة بذكر الأسباب التي أدت إلى المرض. فالعملية الأولى تسمى آحاد و الثانية تسمى استنزال و أما الثالثة فهي الصرع. وهذه الألفاظ مختصة بالتقاليد المكتوبة و التي نفصلها على النحو التالي:

### 1.2- الآحـــاد

و هو إدخال الجن في خدمة الطالب عن طريق قراءات تكون غالبا آيات قرآنية. سمعت أثناء نقاشٍ حول الموضوع من أستاذ يقطن مدينة الحنايا أنه لما يكون الهدف من هذا الاتحاد سلبيا يطلب الجن من الطالب أن يرتل الآيات القرآنية مقلوبة أو أن يكتبها بمادة نجسة و حسب المعتقد فإن هذه الطريقة تمكن "الطالب" من سياق الأخبار عن أحوال زبائنه و أسرارهم لإفادتهم بها و بالتالي البرهنة

[2] M. Y. Chaouch Le hawfi .Poésie féminine et tradition orale au Maghreb OPU Alger 1986 p 148

[3] ابن الحجاج نقلا عن ج.ديبارمي في نفس المرجع ص99

على قدراته. و يكون البحث في موضوع الشخص الذي يراد به الأذى و هوية المتعدي والمكان الذي وضع فيه المادة السحرية الخ...وتكون الإجابة بالإشارة إلى شخص من الأقارب أو من الجيران.

أما بالنسبة للاستنزال فسنتطرق إليه في باب الكهانة أو"القزانة" بتصرف وهو بمعنى الإطلاع على الأمور الغيبية و سنوجه اهتمامنا في هذا الموقع إلى العملية الثالثة و هي الصرع لأنها عملية أكثر انتشار عند "الطلبه" من سابقتيها .سبب ذلك يكمن في أن عقلانية عملية الآحاد و الاستنزال تضعف لأنها أكثر أقل مقاومة للفكر النقدي و تطابقها مع الواقع أشبه ما يكون على شكل روايات و خوارق ألف ليلة و ليلة. و تستمد عملية الصرع أهميتها و نجاعتها من كونها نسق يعتمد على التجربة و التي تتدخل فيها أطراف عديدة:

## 2.2 الصرع

للكلمة معنيان. المعنى الأول يدل على فعل تقوم به الأرواح و الجن و تسمى "ضربة" يتعرض لها شخص معين(كحادثة أو كعقاب له) تدخله في حالة مرضية جسدية باختلال في الوظائف. أما المعنى الثاني يقصد به إدخال المريض من طرف "الطالب" في حالة شبه غيبوبة للتمكن من استنطاق الجن على لسان المريض.

الطلبة أشخاص ذو تكوين, و حديثنا هنا ليس عن "الطلبه" المشعوذين و لكننا نقصد الأشخاص الذين بدءوا مشوارهم بحفظ القرآن خاصة "الطلبة المسافرون" فالكثير منهم يتحول إلى السحر أو على الأقل كتابة التمائم و الطلاسم لما تدره هذه العملية من ربح. و تكوينهم يمكّنهم من مطالعة الأدبيات المتداولة في أوساطهم. وسنخص هذه العملية التحفيظية بترتيباتها المادية و البيداغوجية و كدا النسق المكون لعملية الصرع بفصل كامل.

و من الأسباب التي جعلت الاثنين يمتاز بهذه الخصوصيات ما يلي:

إنه يوم بركة و يرجع ذلك إلى مصادفة أحداث من السنة النبوية الشريفة مثل

- صيام الرسول صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين.
- بدء نزول الوحي يوم الاثنين.
- الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.
- وفاته صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين.

يعتبر الاثنين يوما مبروكا، سعيدا.يقول ابن الحجاج " إنه يوم قمر. و القمر كوكب خير في التنجيم ساعته تناسب كل شيء، تحت إشرافه تدار الأعمال بسرعة، كما أن ساعته مناسبة للبحث في العلوم و للصيد ...و سر خيره يكمن أساس في المبدأ الذي يمتاز به: و هو الرطوبة... تأثيرات القمر أصلها من الرطوبة، كما أن تأثيرات الشمس من الحرارة "[1]

فهذه الرطوبة تعفن الأجسام أو الجوامد و تنمّي البذور، تبعث الحياة. إنها سبب الخصوبة. من هنا فهو اليوم الذي ينسب إلى القمر، كوكب الخصوبة فهو كذلك بالنسبة لسحر الرجال و سحر النساء يوم خصوبة و وفرة ، نجاح و سعادة، يوم حمل و شغوف و حب. و ربما هذا ما يفسر شغف الشعراء و المغنين بالقمر.

عند بعض الفلاحين:

- الحرث مستحسن يوم الاثنين.
- الزرع في الخريف يبدأ يوم الاثنين.
- يوم مفضل لغرس الأشجار.
- يوم مناسب للأعمال السحرية التي تهدف إلى زيادة المحاصيل و جعلها لا تنفد.

في هذا المجال يعمد "الطلبه" إلى كتابة الحروز المناسبة, حيث يأخذونها من كتبهم, على أنها متغيرة في التفاصيل و هذا نموذج منها أفادنا به السيد م. العربي و هو فلاح يقطن بحي أوزيدان "تأخذ ألف حبة شعير، في الصباح الباكر ليلة الاثنين أو الجمعة. تقول ثلاث مرات على كل حبة الأسماء الحسنى " الفتاح، الرزاق" تجمع الكل في جلد ذئب تربطه بخيط من آلة نسج ثم تبخر العقدة بالند

[1] نفس المرجع ص ص 275-274

الأسود ( هو نبات يستعمل في التبخيرة) ثم ترميه فوق الغلة (المحصول). يأخذ منه يوميا قدْرا للاستهلاك لكن يمنع الدخول إلى المخزن أو ما يسمى "غرفة العولة " على الأطفال و النساء أو شخص آخر فلا يباع و لا يقرض منه" و يكون الهدف من المنع الأخير اجتناب التلاقي مع عمل مضاد.

و الاثنين لا يتمتع فقط بالبركة، إذ في معناه الأوّل الذي رأيناه من قبل, هو قوة إعادة الإنتاج و مضاعفته : هذا المعنى موجود في التصور المشتق الذي يعبر عن تأثير يخلق رفاهية عامة. إنه مناسب لبدأ في بناء منزل, أو للدخول لأول مرة إلى بيت جديد مع الأربعاء و الجمعة لأسباب أخرى. و تؤكد النساء بأن عملا طويلا تبدأ فيه يوم الاثنين ينتهي بخير. يؤخذ فيه الطفل إلى الكتاتيب القرآنية أول مرة كما ينصح به كذلك للتجارة و السفر. و ليلة الاثنين مخصصة لأداء الواجبات الزوجية الليلية. ليلة الاثنين و ليلة الجمعة تشكلان الليلتان التقليديتان للجماع . يقال أنها ليلتا السنة.

أخبرنا الحاج بوزيان شيخ يقطن حي شتوان أنه قديما كانت المرأة لا تتجمل سوى هاتين الليلتين و تقدم لزوجها الطعام المفضل و هو "الطّعام" أو كما يقال في بعض الجهات "الكسكسى" أو"المعاش" هذه العادة كانت تمتاز بنوع من الطقوسية. فالأقارب كانوا يمتنعون عن الزيارة أو طلب الضيافة. كما كانت علامة من علامات الاحترام و التربية الحسنة. و يعتقد أن الطفل الذي تم حمله في إحدى ليلتي السنة يكون جماله فائقا وخصاله حميدة، و الحفاظ على هذه التقاليد وسيلة مثلى للحصول على ذرية حسنة.

الحياء ينزعج من الأسرار المتعلقة بهذا المجال و يعتبر كفضوليات غير لائقة لا نجد لها صدى للأحاسيس التي يثيرها في الممارسات السحرية.

اختيار الاثنين (أو بداية الجمعة) من شروط أوقات العمليات السحرية المتعلقة بالحب، نسائية كانت أم رجالية الاثنين يتحكم في جزء كبير من الأفعال المتعلقة بالحياة الجنسية " لتوليد الرغبة عند امرأة اتجاه رجل ما, فليلة الاثنين يرمى في

فراشها تراب النمل الملتقط من سبعة جحور و لنفس الغرض يعلق تراب ملتقط على آثارها و الكل معقود بشعرها في شجرة أمام بابها. و في ساعة اكتمال القمر، يكتب الحرز الذي يجلب لحامله مودة الجميع، رجالا و نساء و يستعمل لتزويج فتاة بدأت "تشرف" أي تكبر في السن و لتثبيت امرأة طلقت مرارا[1] و يستعمل أيضا لإثارة الخصوبة عند امرأة عاقر و لإيقاض الجنين النائم في بطن الأم. أسماء القمر يعني أسماء ملكها، يقومون غالبا بوظائف مشابهة لوظائف يوم القمر. ينادون في هذا اليوم وخارجه، لإثارة مشاعر الحب، للتمكن من موعد. حتى أسماء الجن الذين يتحكمون في الكره و النفور و بالرغم من أنّ أسماءهم تختلف جذريًا عن أسماء القمر يسمون أسماء القمر المقلوبة...مكتوبة باليد اليسرى بقلم من عود الدفلة يغمس في الزفت، فيفرقون الأحباب. مسألة الشعور و الأحاسيس مرتبطة جدا في هذه المعتقدات بالكوكب الموكل ليوم الاثنين"[1]

و نفس الشيء نجده في معتقدات النساء حيث يمكن أن نفترض بأن القمر يعتبر كآلهة الحب و اسم كوكب القمر الذي هو من جنس مذكر أصبح في العامية "القمرة" و الكلمة من جنس المؤنث، ربما هذا راجع للمعتقدات التي تحيط بها.

القمر يذكر خاصة في الحريقات المتعلقة بسحر الحب[2] و الممارسة النسائية الأكثر شيوعا تسمى "سحور المحبة بنزول القمر" حيث تتلخص في إنزال القمر في صحن- حسب المعتقد- على يد ساحرة ذات دراية و مهارة كبيرتين لهذه العمليـــة و في "وسط الدار" أو "الحوش" قبل أن يضيئه القمر تضع ما يسمى "المجمر" أو "النافخ" الذي توقد النار فيه و ترمي تارة فوق الجمر حبات الفلفل الأحمر(و تسمى الزريعة)، و تارة أخرى بعض حبات ما يسمى بتفاح الجن

[1] يقال عنها بالعبارة الشعبية " يتبدلوا عليها اليدين"

[1] Desparmet op cit p 279
[2] M.Y.Chaouch op cit p 190

(ويسمى القصبر). تجلس على الأرض و تضع بين رجليها القصعة[3] يكون القعر مغطى بطبقة من الماء تشكّل مرآة و العينان إلى السماء وتقول بعض الجمل الغريبة. حينها يميل الماء أولا إلى الزرقة، ثم تدريجيا يضيء القمر قعر الإناء عندما يتجه إلى الداخل و عندها يكون القمر في قبضتها، تطلب الفاعلة ما تريد سبع مرات بهذه العبارات:

أعلى سلامتك يا القمر يا القمري. يا ألي تضوي على البر و البحر .

يا آلي تضوي على الميت في القبر.

تشعل محبة فلانة بنت فلانة في قلب فلان ولد فلان كما يشعل هذا العقار

و مما سبق, يمكن استخلاص أولا أن الشخص الذي يراد الوصول إليه في العمليات السحرية يشار إليه باسمه أولا ثم باسم أمه لأنّ الاسم في المعتقدات الدينية عامة مرتبط أشد الارتباط بالشخصية التي تحمله، إنه يحتوي على شيء من روحه و يكون الاسم مطابقا للديانة حيث يسهل التفريق بين الأسماء المسلمة والأسماء المسيحية و الأسماء العبرية و الدخول في الإسلام يبدأ بتغيير الاسم. من هنا بمكننا القول إعادة خلق جديد و ولادة جديدة. كما أنّه لما يعود الشخص( رجل أو امرأة) من الحج تتغير التسمية التي كان ينادى بها و يكتسب اسمًا جديدًا: الحاج أو الحاجة و به يدعى من طرف أقاربه و أصدقائه. و الأهم في هذا الصدد هو التناقض البادي بين التسمية في الظروف العادية و التسمية في العملية السحرية: ففي الظروف العادية السلالة الأبوية هي التي يعرف بها الشخص و لكن في الظرف الثاني الأهم هي السلالة عن طريق الأم و لم نجد تفسيرا لهذه الظاهرة سوى القول بأن هذا احتياط يدخل في باب تأمين نجاعة العملية السحرية لأن التأكد الكلي لا يكون إلا عن طريق الأم و لا ننسى كذلك أن هناك عدة أولياء في الغرب الجزائري في حدود اطلاعنا المتواضع يحملون أسماء أمهاتهم أو مرضعاتهم من

[3] القصعة :إناء منزلي يصنع من خشب الجوز و هو عبارة عن فراغ يحفر في قطعة من جدع شجرة الجوز.شكله دائري و حجمه متفاوت.استعماله الأساسي يكمن في تحضير العجين. القصعة لا زالت تؤدي المهمة نفسها و لكنها اليوم تصنع من الألمنيوم.

أمثال سيدي محمد بن عودة، سيدي بن مرزوقة، سيدي عبد القادر ابن قسادة، سيدي أحمد بن صفية. فذكر السلالة من الأمومة ربما هو تقليد ديني يأخذ أصله من تسمية المسيح عليه السلام، و هذا التقليد انتقل إلى الممارسات السخرية.

و الاستخلاص الثاني هي اقتران اسم القمر بالقمري و هو حمام يذكر في الحريقات, و هذا ما يذكر بالآلهة القمرية القديمة عند القرطاجيين.

عملية أخرى نذكرها في السياق نفسه : في ليلة القمر( ليلة الزهرة و هي ليلة الجمعة)، الطابع العاطفي يهيمن حين يعم الصمت، فالمرأة المحبة تخرج إلى ساحة البيت, و تفتح الفورانة[1] التي تحركها مع توجيه نظرها إلى السماء قائلة سبع مرات بصوت ضعيف: "يا النجوم نعرفكم كاملين من تحت و تحتكم، أنا نترجاكم، فلان ولد فلانة ما يرقد حتى يحسبكم بهاد (بهذه) الفرانة نطمكم (نجمعكم)، عند رأسه يطير نعاسه، عند رجليه تديروا مني "قمرة" في عينيه، قدام جنبه تديروا حبي في قلبه" بعد ذلك تغمس "الفرانة" في الماء ليتمّ تعصير القماش, و عندها تقول سبع مرات متتالية: "نشرتك على السلك[2]. جيب فلان ولد فلان في الحين". تنظر إلى الماء يتقاطر و يدخل في الأرض أو يجف . فكما أن القطرات تسقط فتتغلغل في الأرض، كذلك الحب يدخل و يتمكن من قلب الرجل المرغوب فيه.

## 3 – الثلاثاء و السحر الأسود

الملك الموكل على اليوم لحمر كما نسمع كذلك "بلحمر". لحمر في علاقة مع زحل. و معدنه بالنسبة للبعض هو الحديد الذي يحمر تحت تأثير الصدأ و بالنسبة للآخرين هو النحاس الأحمر يقال عن إنسان ناجح في أعماله فلان يخدم عبد النار,

[1] الفورانة:تنطق مشابهة للكلمة الفرنسية foulard هي قطعة قماش تغطي بها النساء و حتى الفتيات الرأس لتدفئته أو حتى يبقى الشعر نظيفا و تستعمله العجائز لتعصيب الرأس أو ما يسمى "العكسة"

[2] السلك: هو الخيط الحديدي الذي يمد في وسط الدار –الحوش– يستعمل "للنشير" أي لوضع الثياب عرضة لأشعة الشمس

و عبد النار هذا ينتمي لجماعة لحمر.و "لحمر" هذا ليس له أهمية كبيرة في الممارسات النسوية لكن بعض الامتيازات موجودة في تقاليد "الطلبه" السحرة.

أما الاستعانة "ببلحمر" تكون للحصول على امتيازات من كبار الشخصيات، حيث يساعد على مناظرة الأقوياء من كل رتبة و يربط الألسنة المعادية و يضمن مودة الجميع و يؤدي عند المريض هذه الحالة من الغيبوبة المسماة "الصرع" حينها يمكن حسب المعتقد العام استنطاق الجن الذي يمتلك المريض. و الثلاثاء, بالنسبة للحمر، عند ساعته الأولى في اليوم يمكن الاستنزال.

كذلك يستعمل في " الكشف عن الكنوز و يسمى "شق الأرض" و ذلك حتى تظهر الموانع الروحية أي الجن الموكل بحراسة الأشياء المخزونة و تسمى هذه العملية كذلك "التربيع على الكنوز". و كان المنجمون يلقبون زحل بالنحس الصغير و كانوا يربطون مع فعله "الشجاعة، القتل، العنف، النصر.في تقاليد السحرة، التأثير الدموي لزحل القديم يمكن ترويضه و استعماله في الطب.بالرغم من فقدانه لنشاطه و وحشيته،الإله القديم للحرب موكل دائما بصفة غامضة على كل ما من قريب أو بعيد يذكر بالمجازر و التدمير"[1]

يقال إنّه من يريد أن يتداوى بفصد الدم يختار يوم الثلاثاء لإنّه يوم إراقة الدماء.

و يذكر السي عبد السلام و هو "طالب" بحي شتوان قد تجاوز الستين من العمر أن الثلاثاء مناسب لعقدة الإبرة. "فالطالب" يأخذ خيطا حريريا أحمر، يعقده سبع مرات و يقول عند كل عقدة العبارات التالية: "عقدتك يا فلان بن فلانة و عقدة منك ثلاث مئة عرق و ستون و ستين عرقا و العرق ألي بين عينيك واصل بين فخديك ما ينحل حتى يلج الجمل في سم الخياط ما يحلك إنس و لا أنسية و لا جان ولا جنية غير ألي عقدك هو يحلك بيده فما استطاعوا أن يظهروه وما

[1] J.Desparmet Revue.Africaine N 61 1920 p 2267

استطاعوا له نقبا عقدت.شهوتك التي بين عينيك عقدتك عقدة يا فلان بن فلانة بحق لحمز و خدامه و عياله و جنوده". يضع الخيط على الطريق حتى تتخطاه الضحية ثم يضعه في صدفة حلزون طويل متكون غالبا من سبع دورات. يغلق هذه الصدفة بقليل من الشمع و يدفنها في قبر قديم أو كما يقال "قبر منسي" مع تكرار ما ذكرناه من قبل.

و عوض الخيط الأحمر تكتب ورق آية من سورة الكهف المتعلقة بالفتية الذين ناموا في الكهف ثلاثة مائة و تسع سنوات. "ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين و ازدادوا تسعة"[1] يبرم هذا الورق و يوضع في الصدفة قبل أن يرمى تحت أقدام الضحية مع القول : "هكذا تبرد النفس أنتاع فلان قدام كل امرأة "

و يذكر الشاهد نفسه أنه لإرجاع القدرات النفسية للمسحور، تطبخ له بيضة يوم الثلاثاء. يكتب عليها لوح سجري مناجاة للجن، أو أكثر من ذلك على سبع بيضات يكتب على المح آيات متعلقة بيوم البعث أو إبطال مفعول السحر من طرف موسى عليه السلام في سورة الأعراف ، أو القوة المطلقة لله الذي يبعث الموتى.

و يضيف أن ليلة الثلاثاء مناسبة لعمل سحري يسمى التمريض أو تدمير الظالم حيث تؤخذ حفنة من تراب على أثر القدم الأيسر لمن يراد تعذيبه ثم يعجن هذا التراب بحليب بقرة سوداء حلبت يوم الأربعاء ففي الاثنين الموالي تكون العجينة قد جفت و عند الغروب تكتب آيات متعلقة بعذاب المذنب و نرى هنا تقاربا بين هذه الممارسة وقصة البقرة الصفراء في سورة البقرة و التي بواسطتها أظهر الله القاتل لبني إسرائيل.

و يعتقد المخبر نفسه أنه إن كانت الكتابة بدم السلحفاة فخطوات الضحية ستكون كخطوات هذا الحيوان ، و إذا كانت بدم كلب فإن الشخص سيمشي على

---

[1] سورة الكهف آية 25

أربعة أرجل، و إذا كتبت بدم آدمي، فالضحية تموت بعد حين. و يصنع الحبر أيضا بحرق شعر العدو الذي يراد سحره أو إذلاله و يخلط بالرماد و الماء فيدفع بالضحية إلى نزع ثيابها في الطريق و نفس الممارسة ممكنة بعظام الدواب الأليفة حيث يتم في نفس الليلة سحر الشخص بوخز ابر في ظهر ضفدعة لكن هذه العملية تعتبر خطيرة على الممارس انطلاقا من الاعتقاد بأنه غالبا ما يتشكل الجن في صورة هذا الحيوان و يعَدُّ التعرف على ذلك صعب جدًا. و الإبر المستعملة تسع و أربعون و هو مربع العدد سبعة. و يقال أثناء العملية: "ما يخلاصش الضر من فلان ولد فلان حتى يخلاص الضر من هذه الجرانة."

فإذا أضفنا للعناصر الذكورة أعلاه استعمال الكتابة، و الأسماء الغريبة للجن، آية قرآنية أكثر أو أقل تناسبا مع الوضع و أخير انتظار يوم الثلاثاء كيوم مناسب فإننا نشكل من هذه العناصر نسق الممارسة المختصة بالسحر الرجالي.

لا تبرز هذه العناصر في سحر النساء و لكن تظهر بعض العلاقات مع لحمر في الخرافات منها أن اللون الأحمر لا يليق بالعرائس لأنه يثير حسب المعتقدات الجن الذي يختطف العروس.

## 4 – الأربعاء

يقال عن طفل مشاغب و صعب: " يقول للجن أهبط و إلا نطلع لك". و يقول السي أحمد و هو "طالب" يحفظ القرآن كله كما يدرس اللغة العربية و آدابها بإحدى الثانويات و القاطن ببلدة عين يوسف أن ليلة الأربعاء ليلة سخونة, كما يوجد شهر سخون و هو شهر شعبان بفعل أن الجن يستعدون للحبس السنوي أثناء شهر رمضان. عندما يقصد "الطالب" من أجل كتابات ، فهذا الأخير يقوم بحسابات ويأمر بذبح طير من لون معين و يقول أن المرض أصاب جسم الضحية أمام الماء. هذه من خاصية الطلبة الذين يقومون بمهنة اليقاش (ساحر)، عندما يسألون

عن النساء يردون بأنهن تخاصمن قرب مكان به ماء، و في بعض المرات أمام مكان فيه رماد لكن دائما يوم الثلاثاء في المساء. "الطلبه" يتبنون أفكار زبائنهم.

السحر الرجالي كما يمارسه اليوم "الطلبه" يجعل كموكل على تسيير الأربعاء ملك الجان و يسمى "بركان" و ينعت كذلك باليهودي. اللون الذي يختص به هو الأزرق، كوكبه عطارد، معدن خفيف وفضي، عجيب، صلب و سائل, ثقيل ومتطاير، مضغوط و التقاطه مستحيل ويسمى "الهراب"، و هو رمز اقتراحي للخيال الشعبي و التغير المخيب للأرواح .فالأربعاء هو أساسا اليوم الذي ينزل فيه الجن بيننا. و يسمى هذا الهبوط تنزيل هو كلمة تقنية يعبر بها عن ظهور هذه الأرواح

و يضيف الشاهد نفسه أنه لإخراج الجن يوم الأربعاء يجب وضع جدول على رأس المريض و ترتيل نص في حين تبقى شمعة مشعلة أمامه فالشيطان يحس أنه يحترق بفعل هذه التراتيل و يضطر إلى مغادرة المكان. كما يحمل جدول يوم الأربعاء لربط الألسنة المعادية و لجلب مودة العظماء و لقبول طلب زواج .

و يضيف, و لكن في اتجاه معاكس، أنه للتفريق بين حبيبين، يقوم بكتابة جدول الأربعاء، و يحاط بنص مناسب حيث يدرج أسماء العشيقين مع أسماء الأمهات ثم تطلق التبخيرة بشعر كلب أو قط أسود أو فأر و ينزع من بين أعين هذه الحيوانات و يضاف إليها البوبال، الثوم و الكبريت. النص يكرر أربعون مرة فربما هذا العدد اختير لأن أصل الكلمة أربع مثل أربعاء. ثم يدفن الطلسم المحضر, و تنشأ بين العاشقان اللذان يمران عليه عداوة و لا تقوم علاقة محبة جديدة بينهما إلا إذا أبطل مفعول هذا الطلسم.

يعتبر الأربعاء يوم خير أو يوم نحس, و يقال سبب ذلك أن الله أنزل عقابه على فرعون، و عاد و ثمود في نفس اليوم. و لهذا فإنه في تلمسان و نواحيها لا نجد سوقا يقام يوم الأربعاء و في طفولتي كنت أتساءل عن سر اتخاذ الحمامـــات و القصبات يوم الأربعاء كيوم للراحة الأسبوعية.

الماء المستعمل من طرف تلاميذ المدارس القرآنية لغسل ألواحها يوم الأربعاء يعتقد بأن له خصائص عجيبة و النساء المجربات تسقي منه الشخص الذي يلتقط أنفاسه الأخيرة. فهي مساعدة أو كما يقال "متعاونة " حتى يساعده الله في سكرات الموت.

يعتقد كذلك بأنه يوم "لنكباس"، يولد إحساسا بضيق أو كما يقال" ضيقة"، حيث يكون الجو متعبا و التنفس فيه كما يقال " يضيق خاطر أبن آدم" . يعرف كيوم "انكباس" و انعدام الحركة و العمل و يقال "الخدمة فيه تقيله ". يقال كذلك أنه يوم يحس فيه الإنسان بضعف, أنه يصرع.

ما يمنع فعله يوم الأربعاء :

- الخصومة بين النساء.
- الرجال عليهم مراقبة أقوالهم و أحوالهم لأنه يسمى كذلك ساعة ناقصة.
- عدم ضرب الطفل يوم الأربعاء لأنه في هذا اليوم تحت حماية هذه القوى و كل من يخالف هذا " ينضرب " كما يقال.
- الزيارة لا تكون إلا يوم الاثنين و الخميس أي اليوم الثالث و السابع بعد الوفاة.
- الجماع حتى الشرعيّ منه منبوذ و المخالفون لهذا يصيبهم وهن جنسي. والطفل الذي يولد من هذه العلاقة يكون "مسبوبا" أو"مملوكا". مثل هذه العقوبات لا يمكن تجنبها و الأسباب قد تكون حسب المخبرين غيرة الجن أو حياؤهم الذي لم يحترم أو غضب عندما يرون الممنوعات غير محترمة.

كان الفلاحون ينصحون باجتناب الحرث و الغرس. و الاعتقاد هذا يرجع المنع أو التحريم الذي يسيّر البشر في هذا اليوم إلى أمور تشبه الوحي المتصل بالجن. و بعض الحكم و أقوال " الحكماء" تكفي لتفسير كل شيء.

## 5 – الخميس و فكرة العين

هو الحظ الكبير حسب تعبير التنجيم. لونه الأخضر رمز للخير و اليسر، معدنه القصدير و الكوكب الموكل إليه زحل . لم يكن المفكرون القدماء في منأى عن الاعتقاد بوجود علاقة سببية بين ميزة النور أو الضوء للكوكب و الدور الاجتماعي المناط به.

ابتداء من عصر يوم الأربعاء، يدخل تلاميذ المدارس القرآنية في عطلة حتى أمسية يوم الخميس و يسمونها " التخميس" إتباعا للمقولة الشعبية "ما يخدم يوم الخميس غير إبليس" كذلك يمتنع "الطلبه" عن الكتابة في هذا اليوم لأنه بالنسبة لهم حرام كبير كما هو آخر يوم الأسبوع الإسلامي و الأعمال تعرض على الله. فيوم الخميس يختار لقضاء حاجة هامة أو للمثول أمام الكبار من البشر.

تعتقد النساء أن الخميس مناسب لإبطال مفعول العين و النحس الذي يمثل مصدر كل المصائب الجسدية و الروحية. الأذى يأتي من إرادة معادية أو إلهية أو شيطانية أو إنسانية. و هناك قوة قادرة على توقيف هذه القدرة السلبية و هي يد فاطمة "الخامسة" أو "الخويمسة" تعني خمسة أصابع، الخميس هو اليوم الخامس وبالتالي يشارك في الميزات أو القوة السحرية لهذه "الخامسة" وتتجلى هذه المعتقدات في بعض التصرفات حيث يعلق على عنق الطفل "خامسة" تكون من ذهب أو فضة أو بلاستيك. و تقول امرأة عندما تمدح أو يمدح زوجها أو أحد أولادها " خمسة و خموس في عين الحسود". وعندما يتغير حال الصبي نظرا لألم ما أو شيء مزعج يقال أن هذا من فعل العين خاصة إذا اشتد بكاؤه. كما يعتقد أنّ الوالدين لما يفرحان بحيوية أطفالهم يصيبونهم بالعين. و العلاج الشائع هو وضع حبة أو قطعة من "الشبّ" على قطعة من نحاس توضع على النار فتذوب بذلك هذه المادة ثم ترمى في الماء خاصة في بيت الخلاء( و يقال كذلك " المجرى" أو "الشيشمة"). و تقول المداوية أثناء "طفي" الشبّ في مكان ذي رطوبة أو في الماء

"عين المرأة في النحاسة و عين الرجل في الحلاسة"[1] أو " عين المرأة في المجرى و عين الرجل في الحجرة" نستنتج من هذا أن عين المرأة أخطر من عين الرجل لهذا "تخرج" عينها عند الأشياء أكثر وسخا أي ذات قيمة اجتماعية سلبية.

لا يفوتنا أن نقول إن المرأة لها طبع اجتماعي يرسمه المجتمع عبر مجموعة من الميزات السلبية مثل الغيرة و الثرثرة. وحتى في الميزات السلبية التي تتقاسمها مع الرجل فهي أكثر سلبية.

و التاجر الذي قلت زبائنه (يقال بالعبارة الشعبية "ما عندهش النفاد") يرى في ذلك نتيجة للعين, و يضع "تيته" في الخميس فهو اليوم لوضع مبطلات العين حيث يضع أو يعلق في هذا اليوم العطال (من فعل عطل) و هو الحبل الذي تربط به الدواب من رجل أمامية مع رجل خلفية لتعطيلها عن المشي و يسمى كذلك السراح. كما يمكنه تثبيت على جدار بمسامير حديدية حدوة حصان ذات خمسة ثقوب أو تعليق كتابة تسمى حرز العين فوق باب المتجر أو داخله مقابلا الزبائن المشكوك فيهم.

أما الطفل المولود يوم الخميس لا يخشى عليه شيئا حيث ينصح بختان الأولاد في هذا اليوم و بلبس الثوب الجديد يومه.

و من الحيوانات التي تشخص العين هناك المجذامة (الجذام) و تسمى كذلك "تمجدامت". فهي توجه عيناها صوب أصحاب البيت لهذا ينصح أو يؤمر بقتلها بسرعة باليد اليمنى لذا يقال عن طفل صعب جدا أنه جذام. و لا ننسى أنّ العين شرّ كوني و في هذا رمزية تدمج هذا الشرّ في حيوان.

كلّ الأيام لها رموز أو ما يسمى " الخواتم السبعة"، و خاتم يوم الخميس يتكون من أربعة قوائم متوازية على شكل يشبه الأصابع الأربعة لليد.

---

[1] الحلاسة: هو الغطاء الذي يوضع على ظهر الفرس و يعزله عن السرج. يمتص هذا الغطاء كل العرق مما يؤدي إلى تشبعه برائحة و لون ينمان أو يرمزان إلى الوسخ. تقول الأم للطفل عندما ترى وسخا باد عليه: "راك محلس".

أما جن يوم الخميس يسمى شمهروس و هو الذي يستعمله "الطلبه" المنقبون عن الكنوز. كنا نسمع و نحن أطفال عن شخص غريب ومرعب يقضي وقته في التجوال يسمى بنسنس[1], و الرعب الذي كان خاصيته, لا يكمن في أوصافه الجسدية و لكن في أهدافه. "فبنسنس" يبحث دائما عن طفل خاص يسمى "الزهري"[2]. هذا الطفل يعرف بخاصتين, الأولى عيناه ذات سمات معينة و الثانية اليد (لا ننسى أن الكهنة يقرؤون خط الحياة في اليد) فهناك الزهري من العينين والزهري من اليد و الزهري من الاثنين معا و هو المفضل. ما العلاقة بين "بنسنس" والزهري ؟ "بنسنس" يستعمل الزهري في كشف الكنوز. فبعد التعرف على مكان الكنز يبحث "بنسنس" عن الزهري فيقوم باختطافه, فإن كان الزهري من يده، قطعت فوق الكنز و إن كان من العين ذبح على الكنز و كذلك الأمر للزهري من الاثنين معا حتى يتمكن "بنسنس" من مسالمة الجن أو الأرواح القائمة على حراسة الكنز. هذه الأقوال ذات طابع أسطوري و لا تخلو من وظيفة تربوية تتمثل في ترهيب الطفل حتى لا يبتعد عن البيت.أما الكف أو الخامسة لها استعمال إيجابي و استعمال سلبي.

و يتمثل الاستعمال الإيجابي في البحث عن الكنز. و إرجاع حبيب خائن أو غائب بتعليق الكف بخيط و تنشد بعض العبرات الغامضة.و بدقة الكف أي وقوع اليد على البندير[3] في مكان مأهول يفرض الكلام على الجن. و دفع الأرواح المعادية عن إنسان مريض. كما يوضع " الحرز" في الشد[4] أو "الرزة" فيمنح للشخص هيبــة و مودة الناس و يمكنه من كسب قلوبهم.

أما الاستعمال السلبي يقال أنه خاصة بالنساء و يتمثل في التفريق بين الرجل و المرأة و التحريض على علاقات غير شرعية.

---

[1] بنسنس هناك في العامية فعل بنسنس أي يبحث أو كذلك بمعنى يتحسس أو يتجسس

[2] الزهري: أصل الكلمة من الزهر و معناه الحظ

[3] البندير: آلة موسيقية إيقاعية لا يكاد يخلو جوق منها شكلها دائري و جلدها من المعز.هناك ممارسة تعرف باسم "تقليب البنادير" و هي ممارسة يمكن إدخالها في الكهانة

[4] الشد أو الرزة: هو قماش طويل نسبيا يغطى به الرجال رؤوسهم و الشد من فعل يشد أي يحزم.

# الفصل الثاني

## المكان أو تمثل الفضاء

## الجزء الأول: الفضاء و الجن في المعتقد الشعبي

### 1- تصور الفضاء

مما لا شك فيه أن كل مجتمع يقسم الفضاء إلى قسمين: فضاء عمومي وفضاء خاص و يجمع الفضاء العمومي أو الخارجي بين الظروف الاقتصادية والقانونية التي تبلور الفرد. إنه مسرح النشاط الخارجي الذي يحكمه منطق مغاير لنشاط البيت.

الفضاء الخاص أو الداخلي تمثل فيه حرمة المرأة. ومفهوم الحرمة هو الذي يميز الفضاء الداخلي حيث هذه الحرمة يرمز إليها كذلك بالأمان و الذي هو نوع من الفضاء الخاص. فإن كانت بعض الأمثال تؤكد على الحذر في هذا المجال مثل "لا دِرْش لمَانْ في المشتى (الشتاء) إذا صْحاتْ(الصحو) و في المرأة إذا ضنات (بمعنى أنجبت) " أو " المرأة إذا دارت أولادها غرست أوتادها" يرتبط مفهوم الحرمة بفكرة أخرى و هي السترة, و تمثل هذه الفكرة سلطة المجتمع على الجسم بحيث حتى يكون الفرد متماشيا مع التقاليد، يجب أن لا يعرض الجسم عاريا خارج الفضاء الخاص و حتى في هذا الحيز الخاص هنالك ترتيبات. و انطلاقا من هذا نقول إن اللباس يطرح مسائل ثلاثة : العلاقة بالنسبة للجسم, التقسيم الجسمي للفضاء و العلاقة مع الخارج.

نستخلص من هذا أن الفضاء الخاص مقدس انطلاقا من فكرة الحرم, وارتباط الجسم بالفضاء يحدّد إذا كانت هناك قداسة أم لا, فالجسم مقدس حسب وضعيات ثلاثة: الحضور والغياب واللقاء مع أشخاص

كما يجب الحفاظ على الصمت في بيوت الخلاء لأننا لم نعد تحت رعاية ملائكة. البيت العائلي، داخل مطلق و هو مكان حماية الحرمة، و مكان تدخل فيه العروس و منه تخرج المطلقة ، مكان يمنع على أعين من الخارج أن تدخله. هذه الأعين الخارجية هي "ناس برى". حقول عائلية يحس بها أقل خارجية من حقول

مفتوحة و غير ممتلكة و هذا له علاقة بالدرجة التقليدية لمشاركة النساء في الأشغال الفلاحية. هذه المجموعة من الصور- الداخل و الخارج- تتوظف كتذكرة لنمط عائلي يعطي الأولوية للعلاقات الجنسية الداخلية و للتعريف بالنسب حيث يعرف الفرد بأصله وعلاقاته لا بميزاته الفردية و منها عبارة "ولد الفاميليا" أو "بنت الفاميليا".

و الأمر لا ينحصر على المستوى العائلي فهناك ظاهرة حراسة الحومة(الحي) أو العمارة, أي توضع حدود لحرمة جماعة بشريه و المقصود هنا هو حراسة النساء. "الفضاء الاجتماعي الجزائري يكون ربما و رغم المخططات التنظيمية في بناء خفي, في جدلية مجموعة الفضاءات الداخلية يعبر كل واحد عن مستوى من الاستقلالية المتجاوبة حسب نمط تجمعات القرابة القديمة "[1]

و من الأماكن التي لها قداسة في المنظور الشعبي هناك الأولياء والمرابطون. كمكان هو مسرح "لوعدة " سنوية و يسمى كذلك "موسم" أو "طعام". هذا الاحتفال له خصوصية طقوسية, حيث يخرج "الخديم" أو "المقدم" لواء ذا لون أخضر. إنها فرصة لتجمع عائلات و قبائل, إنّها كذلك فرصة للتطرق لحكايات كثيرة ومعروفة, يعاد سردها في اللقاءات. و هو مكان و لحظة للمودة والتلذذ بالقول ونتذكر أيام الوفاء و البركة. وللأولياء أماكن يشار إليهم بعبارة الرجال الصالحين و أحباب ربي, وظيفتهم التوسط بين الفرد أو الجماعة و الله للحصول على الرضا. إنّهم يمثلون العلاقة بين الماضي و الحاضر، المقدس والمدنّس، الهناك و الهنا. و السِّمة الأساسية هي الكرامات و كذلك الشريف و هو انتساب إلى سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم فمنهم من يدعى بالقطب الرباني و آخر بالصوفي العالم أو الدرويش الشعبي والوالي و حتى يصل إلى هذه المرتبة يجب أن يتحصل على الولاية, التي تتميز السرية ، إنّها ميزة من بين عدة ميزات تبين الفهم الشعبي للمقدّس.

---

[1] Claudine Chaulet présentation des dehors in Espaces maghrebins pratiques et enjeux Enag ed URASC 1989 p155

و من الأمور التي تجسد السلطة الردعية للولي "الدعوة" بمعنى الدعاء الذي يتبع الغضب. إنها من سمات الأنبياء مع أقوامهم حين لا يهتدون و يقال عن شخص لحقته هموم "عليه دعوة" و تسمى كذلك "دعوة الشر". يمكن للوالدين أن يكونا مصدرا لها فلا يستطع الصالحون نفعا في هذا الحال كما يقول المثل "إلي كسروه الوالدين ما يجبروه الصالحين". فالأولياء أو بالأحرى الأضرحة فضاءات عمومية تعتبر مسرحا لطقوس جماعية(الزردة، الموسم، الوعدة) و طقوس فردية مثل الزيارات.

الفضاء الثاني و الذي نعتبره عموميا هو الحمام. بغض النظر عن الوظيفة الأصلية، إنّه مكان يأخذ متسعا من الوقت و الذي يوازي كل المراسيم التي يشارك فيها جسم الفرد. أما المعاش الجسدي في هذا المكان فيسير حسب نظام تجسده سيرة مميزة منقسمة إلى طقوس تنظيفية و طقوس دينية و طقوس مرحية وطقوس تطبيبية. فالأولى هي الوظيفة الأساسية, أما الدينية فيمكن تلخيصها في طقوس الوضوء و كذلك اللباس الخاص المسمى "السترة" عند الرجال و "الفوطة" عند النساء والذي تحدده الشريعة و وظيفته ستر العورة. و أما المرحية فيمكن تلخيصها في اعتبار الوقت المقضى في الحمام وقت استحمام وراحة و التطبيبية هي ما يعرف بالتدليك أو "التكسال"

يبدأ الحمام بعد بالدخول إلى البيت الساخن " اسخون" بغسل موقع الجلوس وذلك احتياطا. لقد رأينا أن الوسخ من مميزات الشيطان أو الأرواح الشريرة والحديث المشهور "النظافة من الإيمان و الوسخ من الشيطان" يرسّخ هذا الاعتقاد. و بفعل البخار يصبح الحمام مكانا يوحي بكثير من الخيال و الأحلام وسلطانهما يكون بدون منازع كما يمكن حينه الفرار من الواقع حيث تختفي فيه الإرادة و الحياة الاجتماعية وراء هذا الستار من البخار.

أما النسق الاجتماعي فإنّه يتجسم عن طريق تدخله في تسيير الجسم، فتنظيم الفضاء مثلا يخضع لضوابط يفرضها على الجسم و تصرف الجسم متغير حسب

الفضاء على أنّ هذه الممارسة يمكن ملاحظاتها و في هذا الصدد نلاحظ أنه من بين التباينات الكبرى تفريق المعتقد الشعبي بين الفضاء الرطب و الفضاء الجاف.

و الفضاء الرطب هو كل موقع يتم التصرف فيه بالجسم عن طريق تمثل خاص. و من ذلك نذكر الينابيع، المجاري، المياه المستعملة في الري، الحمام، الآبار، الجداول. و في التمثل الشعبي الفضاء الرطب مكان مأهول بالأرواح, فأهم فضاء رطب في نظرنا يبرز هذه الفكرة هو الحمام. لأنه ليس للغسل فقط ولكن لتطهير الجسم بالمعنى الديني و هو الوضوء. هناك فن الذهاب إلى الحمام. فهو بالنسبة للنساء "الكلام في الحمام يكون عن الأطفال، عن الزوج, بصفة مختصرة عن الحياة اليومية فالحمام مكان الاجتماع Sociabilité المتميزة بالنسبة للنساء. فيه تربط علاقات الصداقة، عدة مشاريع زواج تعقد بين الأمهات. أم الفتى تلاحظ في متسع من الوقت و هدوء زوجة محتملة لابنها قبل إبداء موقفها. أما بالنسبة للرجال فلا يبقى لهم إلا أداء الأمور الشكلية...غريبة و سطحية الفكرة التي تقوم إلى حد الآن في الرأي العام حول الدور الثانوي للمرأة في المجتمع الإسلامي, ودراسة مكان مثل الحمام يمكنها أن تكذب هذه الأفكار المسبقة. النساء هن اللواتي تقرّرن غالبا مصير الرجال: الأخذ بالثأر، ألغاز تتشكل في هذا الفضاء النسوي للتجمع و المعتقدات الخرافية "[1] فهناك عدة تطبيقات سحرية يقام بها في الحمام.

أما بالنسبة للفضاء الخاص و الذي نحصره في الدار يمكن تجزئته إلى عنصرين: عنصر"الحد" وعنصر الداخل . و العنصر الأكثر ارتباطا بالسحر هو "الحد" و يسمى "العتبة". هذه الكلمة تستعمل للدلالة على مدخل البيت و تسمى كذلك "باب الدار" و كذلك مدخل الدكان و تسمى "عتبة الحانوت" و كلاهما يكون مسرحا للممارسة السحرية.

الدار فضاء خاص يجب الحفاظ عليه و تقوية أصواره, و من بين الوسائل التي تضمن ذلك التحصينات السحرية. فهذه الحماية تأتي لتعزز قيمة الوقوف عند

1 Traki Bouchara Zanad Le Dar El Arbi et le Hamam ibid p 237

الحد و إبرازها. إنّها بصورة أخرى تنظم و تراقب العبور و هي حدود قوية تتوقف عن لعب دورها حيث يمكن أن تذهب عندما يكون عبورها تحت مراقبة الفرد أو الجماعة المالكة لقطر ما, إنه مثل الغزو السحري. أما من الناحية المعمارية فيكون باب البيت معززا بالسقيفة ( مكان ذو سقف صغير يعتبر حماية إضافية للبيت).

و توضع عدة أشياء على باب الدار منها المرآة، حدوة حصان، خامسة أو يد فاطمة, حيوان (الضب), تمائم, طلسم أو "حرز" يكتبه "الطالب" على جدار بداخل البيت يقابل الشخص عندما يفتح له الباب. أما "المجرة" موضوع مقولات عديدة وعبارات و التي تصورها كعتبة ثانية. وهناك من النساء من تسميها "الشيبانية" ومنهن من تقول "عينيك في المجرة" للاحتياط و دفع العين.

فالدار هي الجسم و الحفاظ عليها هو الحفاظ على الجسم, إنها جسد وروح. و هناك عدة أمثال متعلقة بالباب أو العتبة ترمز غالبا إلى العيش الطيّب والسعادة, و نذكر منها ما هو شائع:

- رَبي ما يْبَلَعْ بابْ حَتى يْحَلْ عَشْرَه.
- البَابْ مَفتوحْ وَ الرزَقْ على الله.
- الله يَفتَحْ في وَجْهَكْ بيبان ( أبواب ) الْخَيْر.

لكن للباب رمزية سلبية، و هي أنّ الباب أو العتبة مرادف للمرأة خاصة الزوجة. كما يمكن اعتباره مكانا للعبور أو للوضعية الهشة، و ربما عبور للتجمع مع عائلة الزوج و يفسّر هذا المقولة الشعبية "راني كعتبة الباب ألي يجي يفوت عليّ" بمعنى كل من يأتي يدوسني أو أنه لا اعتبار لي و يضرب كذلك في تصوير حالة اليتيم من الأم مثل مشهور "يتيم الأب على الركبة ويتيم الأم على العتبة " لأن العتبة هي النقطة المتصلة مباشرة بالشارع برمزية تشير إلى التيه و اللااستقرار.

كما أنّ "العتبة" تعتبر مكانا قابلا للتغيّر. و من إحدى التابوهات المعروفة تجنب البقاء فيها لأن المكوث في "العتبة " غير مرغوب فيه, إنّها تقلب و تقليب

منطقي يزاوج بين البيت و النظام الكوني "هذا التابوه أخذ أشكالا متعددة في بلاد المغرب، ارتبط بالممنوع بصفة عامة أو الممنوع الخاص حسب المناطق، إنه مكان لا نبقى واقفين فيه مساءً، و لا نجلس فيه يوم الجمعة و كذلك أيام الأعياد الدينية، و على المرضعات و الأطفال تحاشي هذا المكان و كذلك العروس حتى تمر أربعين يوما على زفافها, و الأشخاص الذين يوجدون في حالة غير عادية عليهم اجتناب المرور فيها بكثرة.... فالممنوعات تخص أفرادا ضعافا و مهيمن عليهم. أما الأسباب التي يقدمها الخطاب الشعبي التقليدي فهي متنوعة، و في غالب الأحيان تذكر عن طريق التشابه مثل: جلب الموت لأنه المكان المخصص للعدّادات أي للنواح على الميت، أو الطفل الذي يجلس على العتبة يكون عرضة للتسول أو احتلال العتبة هي الوقوف والاعتراض على دخول الرزق. في بعض المرات تكون السببية من طبيعية شامنية Chamanique, إذ أنّ أرواح الموتى تبقى عند العتبة خاصة في الحفلات و هناك خطر في إزعاجها "[1]

و كل شيء يقام لوضع العتبة تحت حماية حسنة، اتقاء التأثيرات السيئة للجن أو المرور أو الحركة المشبوه فيها. و هناك مجموعة من الإشارات، كأشياء تعلق فوق الباب أو على قوائمه في بعض الأحيان. و من بين الأشياء الأكثر استعمالا حدوة الحصان ذات خمسة ثقوب، الخامسة أو يد فاطمة، الحرباء أو أحد الزواحف من نفس الحجم أو أصغر منها، نباتات، بعض أجزاء كبش العيد خاصة دمه، المرارة أو الفقرة العمودية الأولى، أشكال هندسية مثل المستطيل، مجموعة من الخطوط المستقيمة غالبا ما يكون عددها سبعة، خاتم سليمان، نجمة، هلال، الطلاء فيمكن أن يكون بدم أضحية أو بالجير أو بالزفت أو بفضلات البقر.

و العتبة موضع تضحية خاصة عند البناء أو ما يسمى "دخول الدار" أي السكن في بيت جديد. و هو عمل يهدف من جهة إلى إبعاد الجن الضار, و من جهة أخرى إلى جلب مودة الجن الملاك الحقيقيين للأرض. لكن و إن بقيت هذه

[1] Pierre Bourdieu sociologie de l`Algerie que sais-je 1972 pp 45-69

الممارسات فهذا المعنى الآنيمي الطبيعي لم يعد في الاعتبار عند المستعملين فالتفسير المتفق عليه هو مبدأ البركة. و لهذا المفهوم صبغتين: المقدس و المدنس ذو طابع اقتصادي " الطقوس المتعلقة بدخول وخروج الأشخاص و الأمتعة ... تنم عن منطق لا يظهر لي من باب المقدس و لكن من باب اقتصادي, كل شيء يهدف إلى ملء البيت و عدم تفريغه, يشجع التكديس و يجنب الشتات. و تحت هذا التنوع الشكلي و الحركي الطقوسي، نجد هذا الثراء من الإرشادات المقدسة التي مقصدها الإنسان لكن عن طريق وساطة خفية. فالخطاب واضح، يأتي بدون تناقض، يدعم الحس العملي و النسق التقني و تدخل عبارة شائعة في حيز هذه النظرة إنها "عمارة الدار" التي كانت في السابق تسيّر و تراقب استهلاك المواد الغذائية.لقد كان إخراج النار من البيت مضبوطا ببعض الاحتياطات: يمنع يوم ولادة طفل أو عجل, و كذلك في اليوم الأول للحرث"[1]. يتجلى هذا الحس الاقتصادي في الطقوسية الممارسة في العتبة أثناء حفلات الزفاف "طقوس العتبة مرتبطة بالعرس خاصة "الدخلة" لبيت العريس و أمه. هذه اللحظة بالضبط أعطت تضخما خاصا للطقوسية و التي تؤدي إلى نوع من التمثيل المسرحي. مجموعة من الاحتياطات و التبوهات تفسر هذا، إذا ما لم تأخذ مرجعية المقدس فقط إلى مجال العلاقات الاجتماعية, فحين يضاف شخص جديد إلى الخلية العائلية يجب عدم التفريط في هذه "الدخلة" الحاملة لعلاقات جديدة في الداخل مع تحالفات مستقرة في الخارج وسلالة مرجوة و بالطبع نمو قوّة الجماعة. يكون مثلا أخذ العروس للمرور على العتبة و تحت ذراع الحماة عند دخول البيت الزوجي كجواب على مرور الفتاة تحت ذراع أبيها حين خروجها من بيته و الهدية على العتبة من طرف الحماه للعروس من حلويات أو ماء لضمان التفاهم الحسن، و مفتاح كضمان للأمانة وطلاء الجزء العلوي المبني من الباب بالبيض أو الزيت كضمان للإنجاب فهي إذن الحلقات الطقوسية الأكثر شيوعا "[1]

[1] Marie Virolle Souibess . une figure de la limite . le seuil domestique op cit p 249
[1] Marie Virolle Souibess ibid p 250

و في الأخير نستطيع أن نقول أن العتبة مكان "حامي أو سخون" بمعنى حار، و مكان خطر، ومكان العبور، و مسرح مستمر لحركية الدخول و الخروج. و هو المكان المفضل لخطوط الرمزية و الوجه المميز للحد الذي يلي مباشرة الحد البسيط للجسم. فقد حافظت المدن الكبرى عندنا أو في الخارج حتى العواصم العالمية (نذكر على سبيل المثال باريس) على مفهوم العتبة أو ما يسمى الباب. التي تعددت في مدينة تلمسان فبقيت هذه الفكرة راسخة في العائلة

## 2- الجن في المعتقد الشعبي

كثيرا ما تتردّد على الأفواه خاصة النسوية عبارة " كل مضرب بمواليه" أي كل مكان له من يملكه من هؤلاء الناس.

تجلبهم البناءات لأنهم يحبون العيش جنبا إلى جنب مع بني آدم، أي جيران كما يسمون، لا يرون و لكنهم حاضرون.

و ذلك مثل أجزاء البيت، فإن الأجزاء الرئيسية لكل قاعة أو غرفة "عندها ناسها" كما يقال, و ليس فقط الخارجية منها فلكل باب و لكل غرفة مجموعة من الالتزامات. فقوس الباب يعتبر مكانا مأهولا بمجموعة من الأرواح يسمون " ناس القوس". و أرضية الغرفة مأهولة أيضا "بناس القاعة", حيث ترمى على شرفهم قطرات من الحليب أو العسل في الزوايا و الأجزاء السفلية من الحيطان, و بسببهم يمنع ضرب الطفل الذي ترك طعاما أو مشروبا يفيض أو يتدفق من إناء و الدليل على هذا شعورا بالفرحة لما يسقط شيئا من الطعام من يد ضيف. إنه "فال حسن".

و كذلك لسقف روح. تعتقد النساء أنه لما تدخل " النسيبة "[1] عند صهرها فإن السطح يبكي و يقال " يعدد"[2], لأنها تأتي لتعكّر الأجواء. و لكن عند قدوم أم الزوج أو كما يقال "الختنة" [3] فإن السطح "يولول"[4] أي يزغرد.

---

[1] النسيبة: تعني هذه الكلمة أم الزوجة إذ يقولها الرجل للإشارة إلى أم زوجته.

[2] يعدد: و تشير اللفظ إلى النواح على الميت. هناك نساء انتحلت هذه المهنة و تسمى "العدادات" و ربما المعنى يكمن في أنّهنّ يذكرن خصال الميت حين يبكينه. و يقال لشخص يطول بكاؤه مجازا "بركاك ما تعدد" بمعنى كف عن البكاء. نجد كلمة أخرى مرتبطة بها و هي "النغافات" وفي هذا كذلك حرفة نسوية تتمثل في التهليل في العرس أي أن الكلمة الأولى مرتبطة بظرف سلبي و الثانية مرتبطة بظرف إيجابي. يقال لمريض عندما يئن تحت وطأة الألم أنه "ينقف" أي عندما يقول آه،آه، آه.

[3] الختنة: هي الكلمة التي تعين بها الزوجة أم زوجها

[4]التو لويل :هو الصوت الذي تطلقه النساء في ظروف فرح من ولادة أو عقيقة أو ختان أو عرس أو أحوال مشحونة بالقداسة. يرى البعض أن إطلاق هذا الصوت المنبعث بتحريك سريع للسان من الطقوس المقدسة, فالنساء تولول عند الاقتراب و الدخول إلى الأضرحة و الأولية و الينابيع المقدسة المجاورة لهم.

فالعلاقات التي تربط العناصر الأربعة في هذه التسميات أي الزوج، الزوجة، الختنة و النسيبة كانت و لا تزال موضوع أحاديث و نكت طريفة. وغالبا ما تصور هذه العلاقات عبر مشاهد كوميدية لكن الواقع يظهرها في مشاهد درامية.

الأشياء التي تكون الداخل لها في عين الكثير منهم، بغض النظر عن المادة المشكلة، ازدواج روحاني، هذه الأشياء بالنسبة لهن لها حياة، فكر، قوة خارقة أو يمكننا أن نقول إنهن تعرفن سر إعطائها. نساء كثيرات خاصة اللائى لا تعملن, تتحولن في بيوتهن إلى ساحرات خائفات و حذرات، مكثرات من حولهن قوى حامية. تخلق الهات للدّفاع عن أنفسهن و تحول كل ما تستطيع إلى الفتش Fétiche

## 1.2- مول العتبة أو صاحب العتبة

نذكر في الأول "مول العتبة". و هو من الأرواح الوصية كما أنه من الطقوس التي ندرجها تحت تسمية "تزيين العتبة". و هذه العملية ليست حكرا على النساء. فمثلا عند بناء أو شراء بيت ، يمتثل الرجل إلى العادة أو التقاليد التي تفرض عليه التضحية "بكبش العتبة". و الفئة ليست قليلة ممن يعتقد في وجوب نفس التضحية أو القربان عند شراء أرض أو جنان (بستان) مستقل عن البيت. على أن تكون التضحية برأس من المعز و تتغير حسب الظروف الاقتصادية للفرد. و يكون الذبح سواء قبل الدخول في البيت أو بعده بثلاثة أو خمسة أيام, و يفضل يوم الأربعاء و الجمعة على أن يكون رب العائلة هو الذي له وظيفة المضحي Sacrificateur، و إذا تعذر الأمر ينوب عنه رجل آخر يمتاز بالاستقامة. أما المكان المخصص للذبح فهو المجرى. توزع أحشاء الأضحية (تسمى "الدوارة") على أن يخزن رأس الأضحية المسمى "الزليف" و يقال له كذلك "بوزلوف". و يقام بلحمها مأدبة فطور أو عشاء كما يتصدق بجزء منها و غالبا ما يختص الأمر بالأصدقاء و من يعرفهم من الناس بغرض توطيد العلاقات معهم في انتظار استثمارها عند

الحاجة. و عندما يريد إعطاء الحفل أكثر هيبة يتبعه بحضرة ليلية بمشاركة "الطلبه" الذين ينشطون الحفل بالتلاوة الجماعية للقرآن وإنشاد المدائح النبوية.

و من العلامات على نجاح القربان نذكر خروج الدم بقوة و نهوض الأضحية عدة مرات و تخبطها و يسمى هذا البرهان.

تؤدي الأسطورة وظيفة اجتماعية في الأوساط الشعبية. فهي توصل التقاليد القديمة إلى الأجيال الجديدة التي عليها الالتزام بها كما يلتزم بالتعاليم الدينية. إنها تعلم الفكر و النظرية و الصيغ حتى التوعية الأخلاقية بالأخذ بأصناف خطاب مخيف و تعليمي.

يتحمل جن العتبة عبء حراسة و حماية البيت طالما بقي وفاء أهل البيت لهم, لهذا يسمون كذلك "عساسين الدار" كالأولياء و "المرابطين" و هم أيضا بمثابة رؤساء لمختلف مدن بلاد المغرب حيث تتميز كل مدينة بولي يحميها وغالبا ما يكون اسمه أكثر استعمالا في المدينة.

عندما يجد جن العتبة لذة في القربان و يتقبلوه فإن صاحب البيت يرى في منامه شيخا أبيض الشعر(طبعا) ذو لحية طويلة و بيضاء. و البعض الآخر يعتبر هذا القربان عند الاستقرار في البيت الجديد غير كاف حيث يتبعونه بقربان أسبوعي يتمثل في تبخيرة باب البيت" بالجاوي المكاوي" ثم الأجزاء الأخرى. وتعتقد النساء بأنّه بهذا قد أمنّ لأنفسهنّ و عائلتهنّ حماية فوق طبيعية, فجن العتبة له من القوة و اليقظة ما يضمن الحرمة الجسدية للعائلة و حرمة فضائها ضد كل الأخطار. و "مول العتبة المغربي شبيه بإله العتبة Dieu du seuil إنه شخصية فلكلورية عالمية متميزة. إنه اعتقاد قديم جدا في إفريقيا الشمالية... و تحت التأثير غير المباشر لهذا الروح (الأوربي)، هذه التصورات القديمة لم تخرج عن إطار الإنيميزم Animisme الشعبي، و عندما تغادره فإنها تدخل في إطار الحجابة. "[1]

---

[1]- J. Desparmet revue africaine Ethnographie traditionnelle de la mititdja n°64 1923 p312

## 2.2 البوتليس

هي العجز عن التمييز بين الأشياء عندما تكون الإضاءة ضعيفة جدا. وتعني كذلك اضطراب الرؤية بعد تلقي أشعة ضوئية. في هذه الحالة يعتقد أن الشخص ضحية الجن و تقول العجائز أنّ الشخص قد رأى بعض الأرواح في ظلمة الليل و أنّه لم يكتم السر، و هذه جريمة مزدوجة يدفع ثمنها بحرمانه من البصر أثناء الساعات التي يمتلكونها. وهناك بعض العبارات الشعبية تدخل في هذا الإطار "ضربو بوتليس" أو "بيه بوتليس" أو "خداك بوتليس" أو " الله يسلط عليك بوتليس"[1]

إنّ بوتليس تشخيص للهذيان الليلي في المنام أو ما يراه الإنسان من مشاهد مرعبة. و من مميزاته الفلكلورية التخفي بارتدائه طاقية أو شاشية حمراء, و أن أخذها شخص منه و ضعها على رأسه تمتع بنفس الميزة.

و "التلاس مرادف بوتليس مما يسمح بافتراض حول أصل الكلمة إذ "التليس" يبدو أنه يشير إلى الأعمى. هذا تماثل مع العبارة المشهورة " ضربة العمى في الظلماء" و في أسطورته إنها عاهته, المهنية إذا صح التعبير، و هي النتيجة التي كان سببها، و هو الأول الذي يعاني من العاهة التي يسببها. و هو أحسن تشخيص حسب هذا المنطق الشعبي للظلام و هو الجن الموكل عليه لأنه يعيش في الظل، ويعمل في الظلومات، و يمنع البشر من إبصار الأشياء أثناء الليل و يفسد البصر في النهار، هو كذلك محروم من البصر"[2]. و عبارة " تلسني الضوء" تلخص كل هذا.

فجن الظلام هو بالتالي جن المخاوف الليلية، الكابوس و "بوتليس" يتخذ شكلين، شكل حيواني و شكل آدمي في المعتقد الشعبي.

---

[1] عندما ينزعج شخص من آخر أو حتى امرأة من أطفالها تقول عبارة تتمنى فيها شرا أو يقال أنها تدعي كذلك الشخص الذي تحل به مشاكل و متاعب مزمنة أنه "عليه دعوة أو مدعوي" و أصل الكلمة من الدعاء و أن عقاب لحق به و قد طلبه شخصا من الله.

[2] J.Desparmet ibid p 314

توحي كلمة "تليس" في المنطوق الشعبي بصورة كيس كبير يستعمل لنقل الحبوب. أما في الجنوب حسب ما يقال يتمثل الكابوس كجمل كبير محملا "بالتليس". و في نواحي تلمسان فإن الحمار هو الذي يؤدي هذه الوظيفة والناس يسمونه " حمار الليل", و منها القول "ضربه حمار الليل" حيث يعتقد أنه سواء على شكل جمل أو حمار أصبح شبحا عجيبا, إذ يأتي بوتليس في الليل ليجلس على بطن النائم أو على صدره و يضغط بكل ثقله و حمولته مسببا ما يشبه الربو الليلي أو الضيق التنفسي مصحوبا بخوف. كما يمكن أن يهاجم على صورة بشر حيث يبحث له عن سبب أو موضوع نقاش أو اختلاف ليفقد الشخص صوته فلا يتمكن من الإجابة أو طلب النجدة, و عندها ينطفئ الصوت الشخص في حنجرته و هو واع بذلك ويقال أن بعض المرات بوتليس يدفع الشخص إلى صراع أو مبارزة بعد شلل خصمه والذي يصبح تحت وطأة تعب و ثقل أطرافه و بطأ الحركة وعشوائيتها لأنه لا تصدر عنه سوى بعض الأصوات المبهمة و بوتليس واضعا إياه تحت ركبتيه يعذبه بتلذذ.

أما الوسيلة الوحيدة للمقاومة هي خلع الشاشية من على رأسه و مسكه من "غطايته" و هي بعض من شعر الرأس الذي لم يحلق . أما اليوم فلم يبقى من هذا إلا الخيال أو العبارات العامية المرتبطة به. فبوتليس تحول فكرة مجردة.

### 3.2 الجن و النار

عبادة النار من العبادات المنبوذة في الإسلام. والقرآن يقر خلق الجن من نار على عكس الإنسان الذي خلق من تراب " خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ* وَ خَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَارٍ*"[1] و ربما هذا أمر يفسر لنا خاصية مهمة في المعتقد الشعبي تتعلق بالجن و النار. فالعنصر الوحيد الذي يربط بينهما هو المكان. و من هذا يجب اتخاذ بعض الاحتياطات خاصة في البيت و في العمل في الأماكن التي فيها نار. و كان (حتى بداية الثمانينات) في الأماكن التي لم

[1] سورة الرحمان آيات 14 و 15

يصلها الغاز يستعمل ما يسمى بالكانون و هو الموقع المخصص للطبخ أين يوضع حامل حديدي على شكل مثلث له ثلاث أرجل. و يعتقد أن هذا المكان مأهول بجن يطلق عليه اسم شيخ الكانون, و من أوصافه المميزة قامته القصيرة، كِبَر السن فهو في شكل شيخ ذي لحية طويلة، مرن، يحب الرقص و دائم الحركة و ربما أنه يمثل ألسنة اللهب، و هو ذو طبع خاص و متسلط, لهذا ينصح بعدم رمي الماء على النار. و يميزه أيضا ظهوره للنساء حين تكن تنفردن في البيت و لا يتأخر عن طلب يد فتاة بكر. تعتقد النساء أن هذه الخرافة تلجم تهور الطفل, فهذا الجن يؤدي وظيفة تربوية. و من أجل هذا تنوعت التفاصيل لتثبيت التلقين الذي يعطي للأطفال من بقايا هذه المعتقدات التي تلقنها الأم. فأسطورة شيخ الكانون بقيت لا لأنها مفروضة على الأمهات و لكن من خلال الوظيفة التي تؤديها , إذ الخوف الذي يولّده عند الطفل يقوي فهم النار. و في نفس السياق يقال للأطفال بأن اللعب بشيء ناري (عود الكبريت، آلة إشعال السجائر، مصباح،...) يبولّهم في الليل, فيصور التبول كعقوبة لهم عندما يقومون بفعل مكروه. أما الكبار فيخشى المشي على الرماد، و بتوضيح عقلاني فمن الممكن أن يكون الجمر تحت الرماد ، و لهذا يتعود على خشية مبكرة للرماد لأنه مقر شيخ الكانون شخصيا حيث ينام متخفيا متسترا بلحيته البيضاء (تشابه مع لون الرماد) على استعداد للاستيقاظ و الانتقام من كل معتد. و بهذا تستنبط الأم من مكر شيطان استعمالا تربويا.

و في نفس السياق, نذكر ما يعرف بجن الفران (أو الفرن) حيث كان الفرن سائدا قبل تعميم المخابز الصناعية, و كان يستعمل الحطب لتسخينه. كما كان يستعمل لطهي الخبز الذي كانت النساء في البيوت تشكله على نحو أقراص كبيرة تسمى الخبزة حيث توضع على الخبزة علامة مثل ثقب واحد أو أكثر ، تسمح هذه العلامة بالتعرف على خبز كل واحد. ويسمى المشتغل به "الطراح"[1].

[1] الكلمة من فعل طرح بمعنى وضع الخبز في الفرن.

و لقد أخبرني السيد الهاشمي الذي كان يعمل "طراحا" في حي أوزيدان أن جن الفران يتشكل على نحو مغاير فيتخذ صورة ولي من أولياء المنطقة. و كان يترك الإناء المخصص للتبخيرة مدخنا حتى الصبح أملا في الرخاء. و من بين الأمور التي يفرضها عدم الوقوف أمام مدخل الفرن بل الوقوف دائما على أحد الجانبين. كما يعاقب على الكذب و السرقة فيصبح التعايش معه مستحيلا في الفرن. أما القوة التي بإمكانها ردع ضربات الجن المتعلق بالنار فهي قوة الأولياء.

و حينها ينحني الحكيم أو الساحر أمام الوالي، فهذا الأخير له سلطة مطلقة على عالم الأرواح و التي يخولها له فيعرف نفسه بخضوعه للوالي. أما العبارة الشعبية التي تضع في قمة السحرة " الوالي و مولى الحكمة".

من المعلوم أن الجن مخلوق من نار كما يجزم به القرآن, و ليس صعبا أن نفهم أن أماكن النار آهلة بالجن. " نعرف أن الحدادين يعتبرون سحرة في الجزائر، كما هو الحال في كثير من البلاد...و قد يعود إلى قواهم الخارقة في مداعبة القوى السحرية للحديد، و لكن الاحتمال الأكبر يتلخص في تصور في فكر العامة حول الهيمنة التي يفرضونها على جن الحدادة " [2]

## 4.2 جن بيوت الخلاء

إنّ الفكرة الجوهرية هي أن كل الأماكن التي توجد فيها القاذورات والأوساخ مأهولة بالأرواح المتجذرة و العامة, فأماكن فضلات البهائم و كذلك بيوت الخلاء هي من مساكن الجن. على أنّ هذه الفكرة لا تلقى معارضة كبيرة .

احتفظ بذكرى جنية قديمة اسمها للىَ رحمة مسماة بمعنى عكسي antiphrase، تتميز بطبعها الشرير والمؤذي، و هي متمثلة في شكل امرأة سوداء, مقرها بيوت الخلاء, و قد عاش اسمها كأداة ترهيب للأطفال.

---

[2] E.Doutté Magie et religion dans l Afrique du nord P 40
نقلا عن ي شاوش نفس المرجع ص 114

أما المسمار الكبير الذي كان يضرب في بيت الخلاء الذي لا نرى له استعمالا عقلانيا فقد تمثلت وظيفته – كما تؤكده النساء خاصة المتقدمات سنا – في إبطال حركية الروحاني.

و كلمة الروحاني ليست بمعنى الروح أو كائن يستطيع الارتفاع في الأفلاك السماوية كما هو الحال في كتب السحر, إنما يمثل في العامية معنيين يتكاملان من أجل تخصيص أو تمييز الجن الذي تنطبق عليه الكلمة. و المعنى الأول يشتمل على نوع من المجاملة، الروحاني حيث يعتقد الروحاني أنه أعلى درجة من الجن أو أنه في مرتبة أعلى. أما المعنى الثاني فإنه ينم عن ظهور مرعب أو مخيف. فضرب مسمار وسيلة وقائية لإبعاد هذه الكائنات أو تأثيراتها السلبية.

تلجأ النساء إلى خدماتهم "هدوك الناس" ليريهن شيئا في المنام, و لكن هذا الدور قليلا ما يدخل في الحسبان فيذكرون غالبا لضارباتهم. فعندما تشكو امرأة من تغير أحوالها يقال "ضربوها دوك الناس", و من يغسل يداه في بيوت الخلاء يصاب"بالثقاف" فتبرد يداه و يفقد الرغبة في العمل، أو تصاب ركبتيه و منها عبارة "بَرْدو لهْ الرّكايَبْ"[1]، و قد يتبكم أو يصاب ببرودة جنسية فيعتزل أهله، أو يصاب بالحمق. و هناك اعتقاد يرجع هذه الأمراض إلى جن شرير مسيحي أو يهودي.

أما نحن فنعرف أن الديانات لها معتنقيها في عالم الأرواح, فالبعض يقول أن المريض المسلوب لا يتأخر عن الكفر بدينه, فيرفض أن تعلق على عنقه كتابات (الآيات القرآنية), و لا يتحمل رائحة "التبخيره" فيكسر الإناء المخصص لذلك.

فعن طريق هذا الكفر يمكن التعرف على الجن السالب فيبخر البيت و يقدم قربانا يتمثل في طير أو تيس إذا رأى المريض ذلك في منامه, و عند الذبح يقال " نطلب منكم باسم الله العالي و سيدنا سليمان سلطانكم، طلقوا سراح هذا المريض "

[1] الركايب أي جمع الركبة

و المرآة "العجوزة" هي التي تقوم بالتبخيرة, و غالبا ما تكون أم الزوج, فهي التي تقوم بإدارة شؤون البيت و لكن هذا ليس شرطا فكل امرأة يمكنها ذلك لأن الجن لا يرفض أي منهن عدا التي تشك في وجوده، و هن قليلات، أو من تكون غير طاهرة عندما يكون الجن متشددا. تأخذ لذلك "النافخ" أو "المجمر" و هو وعاء يصنع من طين توقد فيه النار, و يسمى كذلك "بجوال", لعل هذه التسمية مرتبطة بوظيفته إذ أنه كان يستعمل للطبخ, فلهذا فمكانه المطبخ أو أي ركن في "الحوش" مخصص لهذا الغرض. يستعمل كذلك للتدفئة حين ينقطع النشاط في البيت و يركن أفراد العائلة للراحة و أيضا للتبخيرة على أن يكون هذا في أي جزء من أجزاء البيت: يتجول هذا الوعاء في كامل أرجاء البيت و منها جاءت التسمية بجوال. أما المَجْمَرْ فأصل الكلمة الجمر أي أنه وعاء يحوي الجمر, و "النافخ" من فعل نفخ لأن إيقاد النار يتطلب النفخ في هذا الوعاء. و هناك نوع من المسوغات يحمل هذا الاسم تسمى "المنافخ" التي تباع بالزوج غالبا، هو سوار يوضع في قبضة اليد وشكله الخارجي نصف دائري و كأنه منفوخ, يرمى في النافخ الجاوي أو عود القماري أو التبخيرة المتكونة من مجموعة مواد تتشكل حسب الاستعمال ويلاحظ فيها بذور القصبور كعنصر مشترك، يعتقد أنها مما تفضله هذه الأرواح. ثم تأخذ النافخ في يديها، على مستوى الصدر، و تمرره بإحكام على جميع الجدران عن قرب, و كأن الدخان و الروائح المنبعثة تبدو في التصاقها بالجدار تتغلغل في المساحات الخارجية و موازاة مع هذه الحركات تنطق ببعض العبارات مثل "يا ناس الدار هذا بخوركم كونوا معانا" أو"كونوا مَعَنا يا جيرانْ لَمْكان ما تروعناش". و تمر على طول الجدران بما في ذلك الساحة الداخلية بدءا بغرفة النوم و التوجه من اليمين إلى الشمال تقليدا للشمس. وتنتهي العملية بوضع النافخ على باب بيت الخلاء أو عند "المجرى" الذي هو ثقب في الساحة و منفذ للماء إلى قنوات صرف المياه القذرة. و كلمة المجرى تعني كذلك بيت الخلاء, لكن التقاليد تفرض ترك الجمر موقدا في النافخ لينطفئ وحده.

و يذكر سيدنا سليمان ملك الجان و الله الذي هو خالقهم الحقيقي أجمعين لتخويف الجن الماكر.

و الضحية المفضلة "لناس الدار" أو"هدوك الناس" هم النساء والأطفال فيضربونهم بدون سبب مقنع. و يروى الكثير عن هؤلاء الأطفال و خاصة النساء الذين يتعرضون لضربتهم و منها هذا المثال الذي ورد إلينا على لسان السيدة فاطمة عجوز تقطن بشتوان و التي احترفت التوليد أي كانت " قابلة" و الذي نذكره بتصرف "المرأة تأخذها رغبة في التقيؤ و التقراع ( صوت الهواء المنبعث من البطن و عطيس متكرر, و تكون العينان مثبتتين كأن بها حوال حيث تظهر توجه و إن كان قليلا نحو الأنف و التي تسمى أيضا فتلة الزين(الجمال). و البعض الآخر منهن يتثاوب و لا ينقطع ذلك حتى يعطى للمصابة لحما غير مطبوخ و يقال "لحم اخضر" لكونها تحت سلطة جن يتغدى باللحم. و أخريات تنقطعن عن الكلام, يقال "تتبكش" أو تنبكم، و ينعت الجن الذي ضربها بعبارة " الّي راه فوق كتفها". والكثير منهن من يأخذها نوع من الجنون و الهذيان، فتتكلم بألفاظ منحطة, يكون هذا حسب نوع الجن الذي يمتلكها. يقال أنها " تهدر بالخاوي و العامر".

و يظهر في تصرفات المرفوضة اجتماعيا لهذه النساء مدى تأثير ما يقترحه الوسط المتكون من هذه المعتقدات, فلا تقتصر على الكفر و سب الدين بل تذهب لضرب "الطالب" الذي يريد إخراج الجن. و تكون لديها فكرة واحدة، لا ندري إن كانت بقوة أو بحيلة و هي الإفلات من الحراسة المضروبة عليها لمنعها من الالتحاق ببيت الخلاء أو بيت الراحة. حيث هنالك تسقط و تتخبط حول نفسها، تطلي وجهها بالأوساخ و تأكل منها. يعتقد أن "الطالبه" باحتكاكهم بأشياء من هذا القبيل يدخلون في اتصال مع إبليس, على أن هذا الأمر لا يتعلق حسب المعتقد بكفر أو بارتداد واعي, و لكن يرى في هذا كله, عمل شيطان الأوساخ كما يقال والذي يحركها بفعل استبدال شخصيتها. كذلك فهو الذي يزيد و يضاعف قواها،

يغير نظرها و طبيعة صوتها و يتكلم على لسانها بكلام فاحش لذا لا ينجر عنه عتاب و لا عقاب.

و للتداوي من هذه الحال أو من الأذى ابتدعت رقصة تسمى الجديب على أن وقع الرقصة يعتبر شديدا على هذه الأرواح. كما أنّ الضحية عليها أن تذهب إلى دار العبيد أو يحضروهم في بيتها و تحت رعاية أحدهم يؤتى بكمية من البخور وهدي ثم تغطى "ببرنوس" تكون طاقيته مقدمة إلى الأمام. في جو يمزج فيه عطور الجاوي بأصوات "القرقابو"[1]، و تبدأ في تحريك الرأس يمينا و شمالا إلى حد التأثير على قواها العقلية و الوصول إلى ما يسمى "الحال" الذي هو عبارة عن تخدير روحي. كما يمكنها أن تقوم بذلك في غرفة لوحدها أو في ساحة البيت وتسمى الميدان. تتكلف امرأة بحراستها فلا تغفل عنها لحظة واحدة و تسمى "الشاوشة" أو "العريفة" حيث تسهر على عدم كشف وجهها و تقييد التخبط العشوائي و ذلك احتياطا من قيل و قال. و بعد فترة, تبدأ الراقصة متصببة عرقا و تبدو مرهقة تسقط في أحضان "الشاوشة" التي تدلك أطرافها ثم تحيلها على الراحة. و يعتقد أنه بعدما تستيقظ تكون قد شفيت.هذه العجائب لا ينظر إليها بعين الرضا من طرف الرجال "الرأي العام يبدو متسامحا اتجاه هذه الممارسة السحرية, من النساء من لا تخفي علاقتها مع دار العبيد... حتى الذين يشكون يرجعونها إلى الخرافات القديمة"[2] مع أن الكثير من الناس لا يشكون في نجاعة هذه الطرق إذ يقول الواحد منهم "لماذا الكتابات و الحجب و "الوعدة" الخ فقدت من نجاعتها ومميزاتها ؟ لماذا الزيارات للأولية لم تعد تعطي نفس النتائج أو المفعول ؟ " فيجيب بنفسه قائلا "إن هذا الوقت منحوس و يحب "المناحس" أو أن النية لم تعد من هذا العالم" ما يستنتج من هذه الانتقادات هي تجذر مثل هذه المعتقدات.

[1] القرقابو: آلة إيقاع موسيقي,مسطحة, نحاسية من زوجين متشابهين. و كل واحد عبارة عن صفيحتين مقعرة الأطراف، حينما يلتقيان يحدثان صوتا. و يقال عن شخص يحدث صوتا مزعجا أنه يقرقب و كلك قبل تعميم استعمال النعل البلاستيكي كان يستعمل في الحمام ما يسمى بالقرقاب للدخول إلى البيت الساخن من الحمام. يصنع القرقاب على شكل نعل من خشب في الجزء الذي يكون تحت الرجل و من قطعة جلدية تشد الرجل إلى القرقاب

[2] Desparmet op cit p 337

هذه الآلهة من نوع خاص لها من المعتقدين في وجودها و من يرفضونها لكن ما هي النسب بين الفريقين ؟ المعتقدون فيها لا يرون أنفسهم في تعارض مع السنة المقدسة و الفقه. فالاعتقاد في الجن من مستلزمات الاعتقاد الإسلامي غير أنه في تقديرنا لم يحدد هذا الاعتقاد في مداه، من هذا الباب أعطى الحق في أن يذكر في بلاد الإسلام و يعترف اجتماعيًا بالخرافات و الممارسات الآنامية.

## .5.2- خلاصة عن عالم الجن

يجب الاحتياط من التلاقي مع الجن أثناء أعمالهم لأن من طبعهم الثأر حيث يكون الثأر متناسبا مع الضرر الذي يتلقاه الجن. و العقوبات التي يفرضونها تكون غالبا على شكل اختلال عقلي. فالجن يضرب و منها جاءت عبارة "ضربة جن" كما يمكنهم سلب شخصية ضحيتهم. على أن كائنات عالم الطباع تتشكل في صورة حيوانية أو إنسانية. و تعود المسؤولية عليهم في هذه الحالة و لكن الطبيعة الانتقامية أقوى من القانون. فالأوساخ محببة لديهم، و كذلك الحوش والحديقة، و بيت الخلاء والرماد و لذلك توجد مجموعة من الاحتياطات الخاصة بهذه الأماكن.

و منها التراجع أمام الحديد و خاصة الشفرة الفولاذية أو السكين. بعض "الطلبه " السحرة ينصحون خوفا من الأحقاد التي يمكن أن تولد لدى الجن من جراء أعمالهم بعد النوم بمفردهم بدون وضع سكين قرب الرأس أو تحت الوسادة لأن الحديد أو الفولاذ يبعد الجن و بالتالي المخاوف و الرعب التي ميزت أعمال الجن، و يحفظ الرجل من هذه الأرواح. على أن نفس الشيء يستعمل لحماية الرضيع في نومهم، و بالفعل فإنك تجد غالبا سكينا، ملحا أو كوب ماء موضوعا أمام سرير الصبي لحمايته من هذه الأرواح التي تقطن البيت و كم مرة رأيت في الطريق يوضع في يد شخص مغمى عليه أو مصاب بداء "النقطة " شيئا حديديا مثل مفتاح أو سكين. ولكن بصفة عامة يحترمون عالم البشر إلا من تعرض لهم.

و هناك إمكانية التكلم مع هذا العالم و استشارتهم. فمنهم "الممنين" الذين يتولد لديهم مودة اتجاه شخص فيتجلون له ليلا على الشكلين المذكورين أعلاه في المنام

أو بصفة خفية عن طريق الشفاء أو بعض الأعمال التي يقومون بها لفائدته, لكنهم يفرضون واجب السر و إلا فقدت الامتيازات التي يمنحونها. على أن هذا الصمت صعب الالتزام به خاصة إذا ما علمنا الطريقة التي يروى بها المنام و تأثيره على طبع الشخص في يوم واحد إن لم يكن لفترة من الحياة.

كما أنهم لا يحبون أن ينعتوا باسمهم الحقيقي و يفضلون الأسماء و العبارات الملتوية périphrase مثل ممنين، دوك الناس، الروحانيين وهذه صيغة تعبيرية كثيرة الاستعمال بغرض التأدب, بالطبع فإن النساء غالبا مفوضة من طرف الجماعة بسلطة سحرية من جهة و احترام الممنوعات العرفية من جهة أخرى. بالنسبة لوليام مارسي فإن " الأساس السيكولوجي لهذه الطريقة... يبدو مزدوجا: أولا يمكن أن يكون الأمر متعلقا باحترام الأخلاقيات، و استعمال بعض العبارات الغامضة أو غير مهمة حتى يتجنب استعمال الكلمة الخاصة بالوضعية, و ثانيا يمكن أن يكون رغبة في إبعاد كلمة تعتبر نحسا، أو كلمة مخيفة و استبدالها ببعض العبارات ذات الفال الحسن، عبارات مدح و مجاملة "[1]

ففي الصنف الأول نذكر على سبيل المثال كلمة الدار و يقصد بها الزوجة، أما "رَشْ الماء" أو " تَطيار الماء" للإشارة إلى التبول، و التخلص من الفضلات يشار إليها بعبارة "يدور مع رأسه"، و يقال السعد عوض الرجل و أما في الصنف الثاني نذكر عساس البلاد و دوك الناس، و الممنين عوض كلمة الجن.

و الجن أصناف عديدة تحمل أسماء الألوان منها لكحل، لزرق، لخضر، لحمر مع كلمات أخرى مشتقة تستعمل كذلك في تسمية الأشخاص مثل كحيل، كحلول، بلكحل، زرقي، بلزرق، بلخضر الخ.

---

[1] W .Marçais L'euphémisme et l'antiphrase dans les dialectes arabes de l'Algérie in Yelles Chaouch Mourad op cit p 65

# الجزء الثاني: الأولياء و "المرابطين" في المعتقد الشعبي

إن الاعتقاد في القوة السحرية لأشخاص يعيشون أو عاشوا قائم. على أن هناك نوعان من الأشخاص الذين يصعب التفريق بينهم و هم "الأولياء" و يقال أيضا "الوليه" و "المرابطين" الكثرة من جماعة الأولياء حيث تركوا سيرا و مؤلفات و عرفوا بورعهم و تعاليمهم و تكوين تلاميذه. على أن الإيمان و العلم الشرعي كانا السمتين البارزتين لهؤلاء الأشخاص. و يشار إليهم بكلمة "المرابطين", و من المرابطين المشهورين جدا حيث لا تكاد توجد جهة تخلو منه :إنه سيدي المخفي.

## 1 – سيدي المخفي و فكرة البركة

يوجد في كل المدن و القرى أو المناطق المحيطة بها, و كلما سألت هل يوجد سيدي المخفي في منطقتكم؟ الإجابة تكون دائما إيجابية. ففي حي أوزيدان، وفي عين يوسف على سبيل المثال لا على سبيل الحصر سيدي المخفي لا زال باقيا "هذا الولي أو المرابط مشرّف و هو على نفس درجة سيدي عبد القادر الجيلالي ، الولي المعتبر في الإسلام وهذا القول ما هو إلا ترجمة للمقولة الشعبية "هذا سيد المخفي كيف سيدي عبد القادر في كل موضع عنده زيارته, في كل بلاد و كل دشرة " مع الملاحظة أن سيدي المخفي أكثر انتشارا من سيدي عبد القادر كما أن كثيرا من القبب و الحويطات مخصصة له." [1]

هذا الانتشار ربما راجع إلى معنى كلمة "مخفي" التي تعبر عن كل كائن غير مرئي بينما يلاحظ حضوره في مكان ما، على أن كل روح مجهولة يتصرف فيها بدون أن يرى و كل قوة مخفية، متسترة تظهر مخلفاتها بدون اكتشاف جوهرها. هيمنة التقاليد الشخصية و تأثير الاقتراح الجماعي، يعتبر رؤية أين ترى فعلا في كل مكان ما هو خارق, فوق الطبيعي, و يتواجد فيه ما يدعى عادة باسم "الجن" ،

[1] Trumelet. Les saints de l'Islam. 1881. p 160. in Desparmet op cit p 295.

و حسب المعتقد الشعبي فانه أكثر روحانية من الآخرين، و لهذا يضاف إليه نعت المخفي، مع اعتبار أن سيدي المخفي يختلف من الوسط القروي إلى الوسط الحضري. يسكن في الوسط القروي تحت شجرة أو حجرة الخ. إنه ملك أرواح الأشجار. أما في الوسط الحضري فوجوده محدود و لكنه يقيم كذلك تحت شجرة أو حجر فهو نوع من الآلهة في البادية و الحضر. على أنه لا يمكن الإفلات من العقوبات التي يفرضها هذا الكائن الروحاني إلا بتدخل من "الطالب" أو "الحكيم".

بناء على ما ترويه النساء المتقدمات سنا فإنه يمكننا استخلاص الميزات التالية لسيدي المخفي:

- إنه يحب كثيرا الجاوي[1].
- عوض الجاوي، يأتي ليستقر بجوار رجل الذي ينبهر بخصاله.
- يتحول أو يتشكل في صورة ثعبان.
- مجيئه و ذهابه تبررها أسباب علوية.
- يعتبر عساس الدار كما يعتبر الولي عساس البلاد أو عساس الفحص أي حامي القبيلة.
- حسب المقولة " ألي يشوف سيدي المخفي ينعمى" فهو يعمي الأبصار بالرغم من أنه يتجلى لعشاقه في المنام أو كما يقال "بين منام و يقظة ".
- يتحول أو يتشكل في صورة ثعبان و يمكنه كذلك أن يتخذ صورة قط أو تيس. و من القصص التي سمعتها في صباي مرات عديدة و عن أشخاص عدة عن شخص يدخل الأول إلى الحمام فإذا به يجد رَجلاً له رجلان تشبه أرجل المعز. كما يعتبر القط حيوانا خطيرا لأنه غالبا ما هو إلا صورة جن لذا ينهي عن ضرب القط إذ يقال أنه له سبعة

[1] الجاوي: مادة تدخل كذلك في التبخيرة. هناك نوع ممتاز منها يسمى الجاوي المكاوي. وهذا النوع يأتي به الحجاج من مكة المكرمة.لاحظت في هذه المدينة إقبالا كبيرا على هذه المادة و العطريات التي تدخل في التبخيرة من مختلف الجنسيات المسلمة.

أرواح, و بهذا فإن القط يتمتع بنوع من الحرمة خاصة ليلا إذ الجن القط لا يختلف في شيء مع القطط التي تحبذ التجول فوق السطوح. و أن يتشكل في صورة قط أخضر أو في صورة قطة بيضاء تكون أرجلها مصبوغة بالحناء. على أن هذه الأشكال خاصة بأولاده و نسائه.

- غالبا ما يتصارع مع الجنية المعادية للمرأة التي تكون تحت حمايته. كما يلازمه ثعبان كرمز لما يتشكل في صورة إنسان: أي حيوانه الأليف و غالبا ما يذكر اللون الأخضر كلون للثعبان.

- و قد يتشكل في صورة أعلاها إنسان و أسفلها أسد كأب الهول المصري يحمل في يده عصا خضراء أو ما يسمى بالعكازة. وهذه من سمة الأولياء.

- له مخازن الكنوز القديمة. حيث يغدق على الشخص المغقـل من هذه الخيرات ثم ينقض عليه ليجعل منه خادما.

- فيزياء هذا العالم ليست كفيزياء كوننا, يتحرك الجن في شقوق الحائط ويجول فيها كالطير في السماء. و يتقلص الفضاء فيقطعه في رمش عين و يتمدد في إلى ما لا نهاية إذ يحوي الجدار قاعات فيها يعتلي سيدي المخفي كرسيا.

- سيدي المخفي يتأثر بمؤثرات عاطفية سواء إيجابية أو سلبية. إنه إلى حد ما يخون خفيته. على أنه يظهر و جوده عن طريق بعض العلامات مثل الشقوق في الجدران، و ظهور بعض الأعراض على الجلد، و وضع بعض الأواني المستعملة خاصة أواني التبخيرة التي تضعها العائلة أمام الجدار كما هو الحال بالنسبة للدوار[1]. أخبرني يحيا.ب موظف متقاعد في إحدى الليالي الرمضانية من سنة 1998 أن هذه المعطيات تمّ وقوعها على حسب قوله في مكان يدعى "رجال الصفصاف" الذي يقع على الطريق الرابط بين شتوان و بلدة أوزيدان أمام قنطرة و يرجع تاريخ بنائها إلى أواخر القرن التاسع عشر. و تقوم في نفس المكان أيضا

---

[1] الدوار: مجموعة سكنية ريفية أصغر حجما و تعداد للسكان و الجمع في الدواوير.

شجرة من نوع الذي يعين في العامية بكلمة "البطمة". فالأماكن إذن التي يظهر فيها "سيد المخفي" أو يترك بها آثارا له عبارة عن ملاجئ صغيرة تحت صخرة أو في جدع شجرة. كذلك في البيوت القديمة أي الأحياء العتيقة في تلمسان و أحوازها كأوزيدان، عين الحوت، الحناية...توجد غرف تمتاز بطول يفوق ستة أمتار و لكن العرض لا يتعدى الثلاثة. و الغرفة لها باب واحد, غالبا ما يتشكل من دفتين , لا توجد به نافذة مفتوحة على الخارج بل لها على أحد جانبي الباب فراغ في الجدار يسمى "التاقة"[1] أو زاوية "دوك الناس". كما أنه لا يوجد مثل هذه الثقوب مقابل باب الغرفة و يمنع وضع السرير في الجانب الذي توجد فيه "التاقة " .

يفرض سيدي المخفي الاحترام على مستوى البيت عن طريق الترويع والهلاك، والأهوال، و "الشُفات"، و الإشارات و "المنامات". و هذا الموضوع, ظاهرة ثقافية كونية, ففكرة البيت المأهول أو كما يقال عندنا "البيت المسكون", يقودنا إلى استخلاص وظيفة أولى لسيدي المخفي يمكن أن نسميها الوظيفة الردعية.

أما الوظيفة الثانية يمكننا أن نسميها الوظيفة الأمنية و الأخلاقية. حيث أن المرأة عند بقائها لوحدها في البيت يجب عليها أن ترد بالنولويل عند سمعها أصوات غريبة حتى تهادن سيدي المخفي و تحصل منه على بعض النعم. كما يقوم سيدي المخفي كذلك بحراسة المرأة في غياب زوجها الأطفال والشيوخ العجزة فهو"العساس" و الكل يعتمد على يقظته.

أما الوظيفة الثالثة فلها صبغة اقتصادية لا لأنها تتم عن نشاط اقتصادي معين لكن لكون سيدي المخفي يتدخل في إنماء رزق العائلة عن طريق البركة. فهي ميزة يتقاسمها مع"الأولية" أو "الولية" فهو يولد و يحافظ و يضاعف الثروة إذا

[1] "التاقة " مرادفها النافذة أي الفتحة التي تطل على خارج البيت

عرفنا أنه يقوم على بيت "العولة" [1] و لكن يُدَعَّم بكتابة توضع في هذا البيت و في الحقول على المنتجات و يعتقد أن عملية وزن المحصول أو تعداده (مثل رؤوس الماشية) يذهب البركة. هذه الأخيرة التي تسري بغزارة في الحفلات و الطقوس القربانية مثل الوعدة و "الزردة". فحينما يدعى شخص للأكل من طعام فحتى و إن كان شبعان فعليه أن يأكل و يعبر عن هذه الحالة "بحط يدك للبركة " أي كلما أكل كثيرون من هذا الطعام فإن البركة تكون أكثر غزارة, و لا تخص العناصر فقط و لكنها تتعدى إلى العيش الرغد أو الرفاهية. و يقال عن شخص يعيش في يسر "أعطاه ربي رزق بلا تعب".

كما يعتقد أن سيدي المخفي يؤمن مداخل أسبوعية لأصحابه و التي يجب عليهم أن لا يبيعوا منها و لا يخزنها و لا يدلون بها. أي تبقى هذه المسألة في الكتمان. فهو إذن سلطان الكنوز "عنده كنز ذهب في كل بلاد " كما يقال في العامية و منه يمول ميزانية أصحاب الدخل الضعيف أو بعض البطالين.

بالنسبة للنساء "إنه عبارة عن إله توليدي , حيث يرافق المرأة في مراحل حياة الأمومة من الخطوبة إلى الولادة و يعتقد أنه يزوج الفتاة حسب هواه حيث يختار دائما الجهة الأكثر فائدة أي يسهر على إيجاد زوج يمثل صفقة رابحة و يتم ذلك بتدليل الصعاب عن طريق بعض الأفعال السرية التي لا يعرفها إلا هو. ويعتقد أنه يعيد تزويج المرأة التي لم يسعفها الحظ في الزواج أو السابقة منها"[2] خاصة إذا عرفنا أن المطلقة ( بالأخص) حظوظها في الزواج مرة ثانية تكاد تكون معدومة خاصة إذا كان أهلها لا يتمتعون بوضعية اجتماعية مرموقة. كما لا يرى الشرع الإسلامي مانعا في الزواج من مطلقة أو أرملة و لكن التمثل الشعبي يجعل

---

[1] العولة: تعني هذه الكلمة المؤونة أو الكمية من المواد الغذائية التي تحتاط بها العائلة لاستهلاكها الشخصي تتكون في العالم الريفي من كمية من الحبوب خاصة يقتطعها الفلاح من المحصول و يوزع الباقي قسمين، قسم للبذور و قسم للسوق وذلك حسب كمية المحاصيل المرتبطة بمساحة الملكية.

[2] J.Desparmet ibid p 302

من المطلقة و الأرملة نسوة غير مرغوب في الزوج منهن. و "سيدي المخفي يتجلى في المنام بلباس خاص، إنه البرنوس"[1] و يسمى " برنوس الستر". و من الأدعية التي تقال كثيرا "الله يسترك" و يقال في ذكر فتاة في سن الزواج "الله يجيب لها الي يسترها".على أن كلمة الستر في المنطوق العامي تعني إخفاء العيب أو العيوب التي من شأنها أن تشوه سمعة شخص و قد يتعدى الأمر إلى إخفاء النعم تفاديا لعين الحسود.

و دور سيدي المخفي بالنسبة للنساء يتعدى إلى الخصوبة. "يروى أن بعض النساء العاقر أنجبت بفضل بعض الطقوس التي أدتها "لسيدي المخفي". و البعض منهن كن ينجبن أطفالا أمواتا أو يموتون في سن مبكرة يلتجأ إليه. كما أنه يواسي الأب الذي لم يرزق بذكر يحمل اسمه من بعده و في هذه الحالة يرى في المنام شيخا بمعية خروف و قدوم الولد هو اقتران الشيخ بالخروف. و الخروف قرين الطفل الذكر "[2] فالتمثل هنا مع قصة إبراهيم و إسماعيل يبدو جليا. و يقال أن الولد "يأتي بخيره" أي أن الولد يأتي دائما لينمي رزق العائلة. و يقال عن الأولاد الذين يأتون بعد رؤية هذا المنام أنهم "مشريين" بمعنى أن الوالدين يدفعون ثمنا معينا "لسيدي المخفي" مقابل هذه الخدمة. و الثمن يكون في المواظبة على طقوس معينة نذكر منها خاصة الزيارة و التبخيرة. كما أن هذه المهمة من صلاحية الأولياء كذلك حيث يعتبر الولد كهدية للوالدين من طرف سيدي المخفي أو ولي آخر مقايضة بهدي أو أضحية أو عمل و هو ما يسمى النذر.على أن الأولياء و يقال لهم أيضا "الولية" الذين يمسحون دموع النساء العاقرات.

و غالبا ما يكون الأطفال الذين صعبت ولادتهم أي أنهم لم يولدوا إلا بعد فترة طويلة بعد الزواج و ذوي تربية سيئة تمتاز بالرضوخ لمطالبهم و يقال عنهم "مفشّين" و يقال كذلك عن هذا النوع من الأطفال أنه "مطلوب على ربي و مشري على الصالحين" أي أن ولادته كانت صعبة و مكلفة ثمنا غاليا.

---

[1] J.Desparmet ibid p 302
[2] J.Desparmet ibid p 303

كما يحضر "سيدي المخفي كذلك في آلم الولادة و يقال عنه أن له عكازه[1] خضراء تمتاز بخاصية سحرية فريدة. و المرأة التي تتوكأ على هذا العود عوض شيء آخر لن تكون عرضة للآلام المعهودة و لا للتعقيدات التي تطرأ بعد الولادة. إن هذا الاعتقاد أعطى تقليدا غريبا. فعندما يتعذر الحصول على هذه العكاز، فإن بعض النساء لا تترددن في الآستعانة بالعكازة الخضراء التي يستعملها الإمام يوم الجمعة و البعض لا يرفض المنافع المادية مقابل هذه الخدمة. يمكننا أن نفسر فكرة وضع العود في يد المرأة لحظات الولادة بالاعتقاد في الجن الشرير الذي يؤخر مجيء الطفل. المرأة البدوية تتسلح به لإبعاد جماعته الخطيرة كما يتسلح به زوجها ضد أعدائه. و يجب أن لا نرى في هذا العود سوى "مطرق" بسيط :له صبغة دينية بمقدوره فرضها على الأرواح المعادية، كما هي في نفس الوقت شيء مقدس، مثل الذي يستعمل في شعائر صلاة الجمعة, أو صورة مطابقة لعكاز الولي و يمتاز بسمات سحرية مستأصلة في الخرافات الطبيعية الحية. و هو دائما ذو لون أخضر حيث يمثل هذا الغصن المخضر شجرة حية، ترمز للخصوبة، وماؤه La seve التي تتماثل مع مبدأ الحياة. لهذا يظهر دائما (سيدي المخفي) بعكازه الخضراء في الأسطورة ؟ و ذلك لنفس السبب, حيث "يعبد" في البادية في شجرة خضراء, على أنّ الطقوس المناسبة له مرتبطة بصفة ما بالنباتات. فيستقدم للمدينة ميزاته القروية, و لا يترك رمز قوته الخلاقة. فإذا كان العود يسهل الولادة، فإنّ الولي يصبح في البيت جن الولادة، مما يذكر أن في الحقول يوجد جن النباتات. و هذان التصوران مرتبطان في ذهن اللواتي يلتجأن إليه"[2] كما يحب التجول في القرى و يَظهر اللون الأخضر مستعملا بكثرة في طلاء البيوت والأضرحة.

يظهر كذلك على " صورة عتروس (التيس) أي ذكر المعز الذي بلغ الحول. فهي إحدى التشكيلات المفضلة التي تعطيه نفس الصبغة لجن التوليد المتمثل في

[1] العكاز : هي العود الذي يتوكؤ عليه شخص مسن في مشية. فهذه الأداة مرتبطة بالشيخوخة و تسمى أيضا "خزرانه"

[2] J.Desparmet Ethnographie traditionnelle de la mititdja. Revue Africaine n°65 1924 p351

العود الأخضر. ففي ثقافة أوروبا للعصر الوسيط يمثل العتروس في المعتقد الشعبي حيوانا شيطانيا, روحا خطيرة. على أنّ المعز ليست فقط بقرة الفقير التي تعطيه الحليب و اللحم فهي كذلك حيوان مستعمل بكثرة في القرابين, و يقال أنها من دواب الجنة. كما يتمتع العتروس بنوع من العظمة الذكرية و التمثل الشعبي يلزمه صورة متميزة و فوق طبيعة مرتبطة بالجنس الذكر كما هو الحال بالنسبة للكبش والثور. و تستعمل بكثرة سواء بمعناها الأصلي أو المجازي كلمة "فحل" التي تشير إلى الذكر من قطيع الغنم أو البقر أو المعز أو البعير الذي يخصب الأنثى. كما تستعمل الكلمة في مدح شخص ذي شيم و تجمع فكرة التكاثر و القوة و الشهامة و الجوهر و قلب و محور الأشياء و قائد الجماعة فالعتروس ينجب ويغذي و يرأس القطيع ببركته. و من هنا يدمجه الخيال الشعبي مع سيد المخفي إذ هو المرشد الذي يغذي، و يحمي البيت و يجعل من نفسه المركز و يحمل السعادة، إنه الأب: يسيّر العلاقات العاطفية، يترأس الأعراس ويساعد في الولادة، فهو سبب في تواتر العائلة، إذن هو "الفحل" و المولد الروحي"[1].

و يضاف إلى "سيدي المخفي" وظيفة أخلاقية هامة في البيت: انه يسهر على العدالة بنفس اليقظة التي يسهر بها على الخصوبة، كما أنه الشاهد السري على الحياة الجنسية و بموجب هذه الوظيفة يقاضي الأزواج ويكون دائما مع ذوي الحق و في هذا المعتقد فإنّ "سيدي المخفي" يحمي و يدعم إذا اقتضى الحال الزوجة المظلومة.

كما أنه يفرض "النقا و الصفا "كما يقال، و هي نصف طقوسية و نصف تنظيفية، من موقعه في كل أنحاء البيت. و يقام "بالتبياض"[1] في كل احتفال عمومي أو خاص و هو أمر لا ينسى و لا يتهاون في فعله. كما يكره جنابة "أنتاع الحرام" أي علاقة جماع خارجة عن إطار الزواج مثل بغي المرأة و العادات السيئة للرجل ويقصد بها العلاقات غير الشرعية, و يكره كذلك اللغو بالإيمان. إنه لا يحب في

---

[1] J. Desparmet ibid p 352

[1] التبياض كلمة تستعمل للدلالة على طلاء البيت أو الأضرحة

الرجل القمار و الخمر و تدخين الحشيش و البخل و الاختيال حتى يتجنب العين، إنه ينصح بالسترة فهذه الوظيفة يمكننا أن نسميها كذلك وظيفة رقابة: يحارب الآفات المفلسة و يجزي عن الخصال. كما يحذر زوجة جديدة من أعمال "الشريكات"[1] و يرشد إلى التنازلات التي تقرظها الحياة مع الزوجات الأخريات. ينصحها بالصبر عندما يكون زوجها خشن الطباع. كما أنه لا يحب الرجل القمار و الخمر و تدخين الحشيش و البخل و الاختيال و ذلك لتجنب العين، كما ينصح بالسترة و هذه الوظيفة يمكننا أن نسميها كذلك وظيفة رقابة حيث يحارب الآفات المفلسة و يجزي عن الخصال.

## 2 – سيدي المخفي و المدينة : الحويطة

نذكر في هذا الصدد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ضريحا صغيرا متواجدا إلى يومنا هذا في حي أقادير بمدينة تلمسان. يقع هذا الحي في الناحية الشرقية للمدينة إنه حي عتيق يتميز بضيق أزقته و التوائتها وهو حي شعبي، المساكن فيه مبنية على شكل أحواش[2] فهناك من يطلق على الضريح اسم سيدي حديد و منهم من يسميه سيدي المخفي.

و سيدي المخفي يرقى فعله الأخلاقي إلى مستوى وظيفة اجتماعية إذ يحدث هذا في المدينة ذات العدد السكاني الكبير مع وجود بناءات خاصة كما ذكرناه. وهذه المنازل تستلزم علاقات و تفرض على عدة عائلات العيش معا. و هنا "سيدي المخفي" يمكنه ترأس جماعة, فيقام له ما يسمى "بالحويطة". و حويطة "سيدي المخفي" في أقادير مساحتها لا تتعدى أربعة أمتار مربعة. و الدخول إليه عن طريق فتحة متوجهة شرقا، ارتفاع الحائط 1,5 م و ليس له سقف و الأرض

[1] الشريكات " تدل على مجموعة الزوجات لزوج واحد.

[2] الحوش " بيت يقطنه أكثر من عائلة يمتاز بوجود ساحة في وسطه و الغرف تحيط بهذه الساحة الداخلية و أصلا فهذا الفراغ هو الذي يحمل هذه الكلمة.فاستعمال الكلمة باق حتى في البيوت العصرية و تدل الكلمة على المساحة التي لم تبنى .

تغطيها طبقة من الإسمنت. و هناك شجرة تين قائمة مشدودة فيها قطع من القماش في كل قطعة عدد معين من العقد و تغطي الشجرة المبنى الصغير بظلها. أما الجدران فهي مطلية بطلاء لونه أبيض أي كما يقال "مبيضة". الأرض فيها الشموع التي توقد في عين المكان و أحد الأركان مثقوب مما يمكن الوصول إلى التراب الذي يستخرج و يتمسح به على الأجزاء البادية من الجسم. فمن خلال الطقوس الملتزم بها يسهل "سيدي المخفي" علاقات الحياة الاجتماعية في وسط يمتاز بكثرة التوترات. عمتي القاطنة بالحي لا تقسم إلا باسمه. فعند خلاف أو ارتكاب سرقة أو غيبة بدون أن يعرف الجاني، يطلب من المشكوك فيه أن ينفي التهمة عنه أمام "سيدي المخفي"، فيتهرب من العملية إن كان مسؤولا عنها. لكن إن اتخذ المتهم سيدي المخفي كشاهد على براءته و لا يلحقه مكروه في الأسبوع الموالي، فلا يشك في براءته و هذا راجع للاعتقاد الراسخ أن السيد "يخلص تم تم" أي العقوبة تلحق في الحين.

يتقدم المرضى في زيارة أمام شجرته ثم الطواف حول الحائط و خاصة "المسبوب"، التي تحت هذه الكلمة تدخل كل الأمراض النفسية و حالات الكآبة وبعض التصرفات المحرجة مثل الكلام الغير مفهوم. و يقال عن هذا النوع من المرضى "يهدر بالخاوي و العامر" أي يتكلم بأشياء لها معنى و أخرى يتنافى محتواها مع القيم الأخلاقية و يرجع هذا إلى تأثيرات سلبية للجن.

على أنّ الطقوس المتعلقة بسيدي المخفي طقوس خاصة بل أكثر من ذلك فهي خفية، أكثر ممارسة في العالم الريفي فوجوده أكثر شيوعا و لكن مقامه أو ضريحه أكثر بساطة: صخرة، شجرة، مساحة صغيرة محاطة ببعض الحجارة.

### 3 - الأولياء المعالجون

ظاهرة بادية للعيان في المجتمع المغاربي، الناس يقرون بوجود قوة خارقة للأولياء و المرابطين المدفونين في أراضيهم. هذه السلطة آتية من الاعتقاد بأنّ

هؤلاء الأولياء لهم مقام عالي عند الله و به يستطيعون التوسط لديه لصالح هذا الشخص أو ذاك, كذلك لهم القدرة العجيبة (البركة) لمداواة بعض الأمراض. فكل واحد مختص في علاج مرض معين و قدرته على ذلك متعلقة بشخصيه.

الاعتقاد في الوساطة يغلب عليه الاعتقاد في القدرة على المداواة عند الذين يلجئون إلى هذا النوع من التطبيب التقليدي مع أن الشرائع الإسلامية لا تعترف بهذه القدرات رغم التقدير الذي يتمتع به هؤلاء الأولياء" أسقطت حالة من التخلف الفكري هؤلاء المسلمين الجاهلين للمبادئ الأولية للإسلام و العاجزين تماما على التفريق بين الخالق الأعلى و المخلوقات، في عبادة المرابطين. حتى سكان المدن باستثناء القليل, لديهم ميول لإبداء صفة الواقعية في الإيمان بالقصص الغريبة. أما بالنسبة لمسلمي الريف، اعتقادهم و تفاهتهم ليس لها حدود. هذا يؤدي بعدد كبير من المسلمين عوض الالتجاء إلى رجل ذي فن أو علم و إتباع الإرشادات التي يمكن أن يعطيها، يفضلون البحث عن دوائهم عند مرابط من الناحية"[1]

و يرجع أبو بكر عبد السلام بن شعيب هذا إلى كون هؤلاء الجاهلين من المسلمين يقسمون الأمراض إلى صنفين : الأمراض الجسدية و الأمراض النفسية أو أمراض الفكر. الأولى هي التي يمكن تفسير طبيعتها حمى، آلام الرأس... والثانية ما جهل سببها مثل الهستريا، الشلل، "الأمراض الجسدية أسبابها سهلة الاكتشاف. أما الأمراض النفسية فأصلها صعب الإدراك لأنّ هذه الأمراض من أعمال الجن. الأشخاص المصابون يعتبرون مملوكين من الجن. المصابون بمرض جسدي عليهم لترميم قواهم الذهاب في زيارة إلى المرابط المختص في علاج هذا المرض... فلأمراض العين (يزار) مرابط يسمى سيدي محمد بن يعقوب... في ضريحه شجرة زيتون وعلى المريض الأكل من ثمار هذه الشجرة... فألم الرأس لها المرابط سيدي بوراس... على المريض شراء "زليف" [2] يطبخه و يأكله في

[1] أبو بكر عبد السلام بن شعيب revue africaine n°51 1907 p 251
[2] الزليف: رأس الذبيحة

الحين تحت قبته مع ترك العظام هناك و المرافقون لا يدخلون مع المريض حتى لا يتعلق المرض بهم، فالشخص الأول الذي يدخل بعد المريض إلى ضريح سيدي بوراس يصاب بنفس المرض... أما الذي يصاب بالحمى فعليه بزيارة سيدي القيسي الموجود في حي باب سيدي بومدين لمدة ثلاثة أيام متتالية...قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها...أما مرض "الشهاقة" الذي يصيب الأطفال الصغار فأحد الوالدين يذهب إلى سيدي الأنجاصي الموجود على الطريق المؤدي إلى سيدي بومدين يأتي بحبة حصى يضعها لمدة ثلاثة أيام تحت وسادة الطفل المريض وتعاد الحجرة الصغيرة إلى مكانها... و النساء العاقرات حتى تصبحن منجبات عليهن بزيارة لمدة سبعة أسابيع متتالية إلى سيدي الداودي بن ناصر... الموجود قرب أقادير بضاحية تلمسان. السبع زيارات تكون يوم الأربعاء... ما قلناه يتعلق بالأمراض الجسدية فقط "[1]

أمام التقدم العالمي و تعميم الرعاية الصحية نستطيع أن نقول أن الأمراض الجسدية أصبح النظر إليها عقلانيا إذ لم تبق المعرفة الطبية حكرا على ذوي الاختصاص و التي تعممت بفضل وسائل الإعلام و المجهود التعليمي و لكن الأمراض النفسية لم تول الرعاية الكافية نظرا للتمثلات الخاصة بها.

ما هو ملاحظ في نواحي تلمسان أن الأولياء الذين يختصون بهذا النوع من الأمراض بسلطتهم على الجن هم سيدي يعقوب الموجود على الطريق المؤدي إلى الصفصاف و سيدي علي بن نقيم الموجود على الطريق المؤدي إلى سيدي بومدين و سيدي كانون الموجود على مقربة من الطريق الوطني رقم 22 الرابط بين مدينتي تلمسان و الحناية.

المصابون بالأمراض قبل زيارة الوالي أو المرابط يلتجئون إلى "الطالب" المشهور بالتنبؤ بهذه الأمور و تفسيرها. و هذه الاستشارة هدفها إطلاع المريض

---

[1] أبو بكر عبد السلام بن شعيب المرجع نفسه ص 252

على اسم الولي أو المرابط الذي له علاقات سرية مع الجن الذي أصاب المريض. و بعد تحضير بعض "الحرز" و التمائم مقابل مبلغ نقدي معين، و معرفة صنف الحيوان الذي يذبح كقربان للولي و كذلك يوم و ساعة الزيارة, يشير "الطالب" بلون الحيوان الذي يضحى به لأنه يعتقد أن كل جن له لون مفضل.

و الحيوانات الأكثر استعمالاً هي المعز، الدجاج و خاصة الديك, فالدم الناتج عن هذا الهدي يعتقد أنه سيشربه الجن المسبب للمرض و من ثمّة يبتعدون عن المريض الذي أهدى لهم هذا الطعام المحبب لديهم. تسمى التضحية بحيوان يتغذى على النبات "التعرقيب" وبديك أو دجاجة "النشرة ". و هناك نوعان من الجن : أبيض فالتداوي منه يكون بزيارة المرابط أو الولي المشار إليه مع تقديم القربان المنصوص عليه من طرف "الطالب". و إن كان الجن أسود فعلى المريض إقامة وعدة على شرف السود و يقال كذلك العبيد.

في اليوم المحدد، يلتقي هؤلاء (السود) في بيت المريض، يقومون برقصات تشبه رقصات الزنج الأفارقة تسمى "الخبيط" و تتمثل في رقص تحرك فيه جميع أطراف الجسم مع تعرية النصف العلوي منه. و يضرب الراقص على ظهره بحبال جلدية تسمى الكرافاش(من الفرنسية cravache) و هي الأداة التي تضرب بها الخيل للركود بسرعة أكبر) كذلك يضرب على بطنه بسكاكين بالإضافة إلى ألعاب بهلوانية أخرى مثل المشي على الجمر و تمرير السكين على اللسان و وخز الإبر فيه في جو احتفالي[1] يغلب عليه أصوات قرقابو و الطبول. فيأخذ رئيس الفرقة الحيوان الأضحية (تيس أو ديك) و يقوم بحركات دائرية حول رأس المريض الذي يوضع في وسط الحشد سبع مرات. و يذبح الحيوان ثم يرسم على جبهة المريض خطا عموديا و سوار على الرجلين و اليدين بدم القربان. و يتكرر الاحتفال كل سنة في نفس المكان و الفترة. إنه ديْن اتجاه الجن و إذا غفل المرء عن القيام بهذا الالتزام فمن الممكن أن يتعرض إلى الإصابة من جديد بضربات الجن.

عوض الفحص عند "الطالب" الذي يدرك الغيب يلتجأ "لطالب" آخر يعتبر قادرا على طرد الجن من الجسم المعين. "الطالب" بعد تلاوة بعض المقالات في أذن المريض، يجب عليه تهديد الجن و الذي يعتقد أنّه ساكن في جسم المريض. فإذا استيقظ المريض فالنجاح يوزع "للطالب" و بالتالي يصبح أكثر شهرة. أما إذا تواصلت غيبوبة المريض بالرغم من العزائم و القراءات التي تليت "فالطالب" يأخذ عصى يضرب بها المريض حتى يستيقظ. و يوهم بهذا الفعل أن الجن هو الذي يتلقى الضرب و تسمى هذه العملية "التخديم".

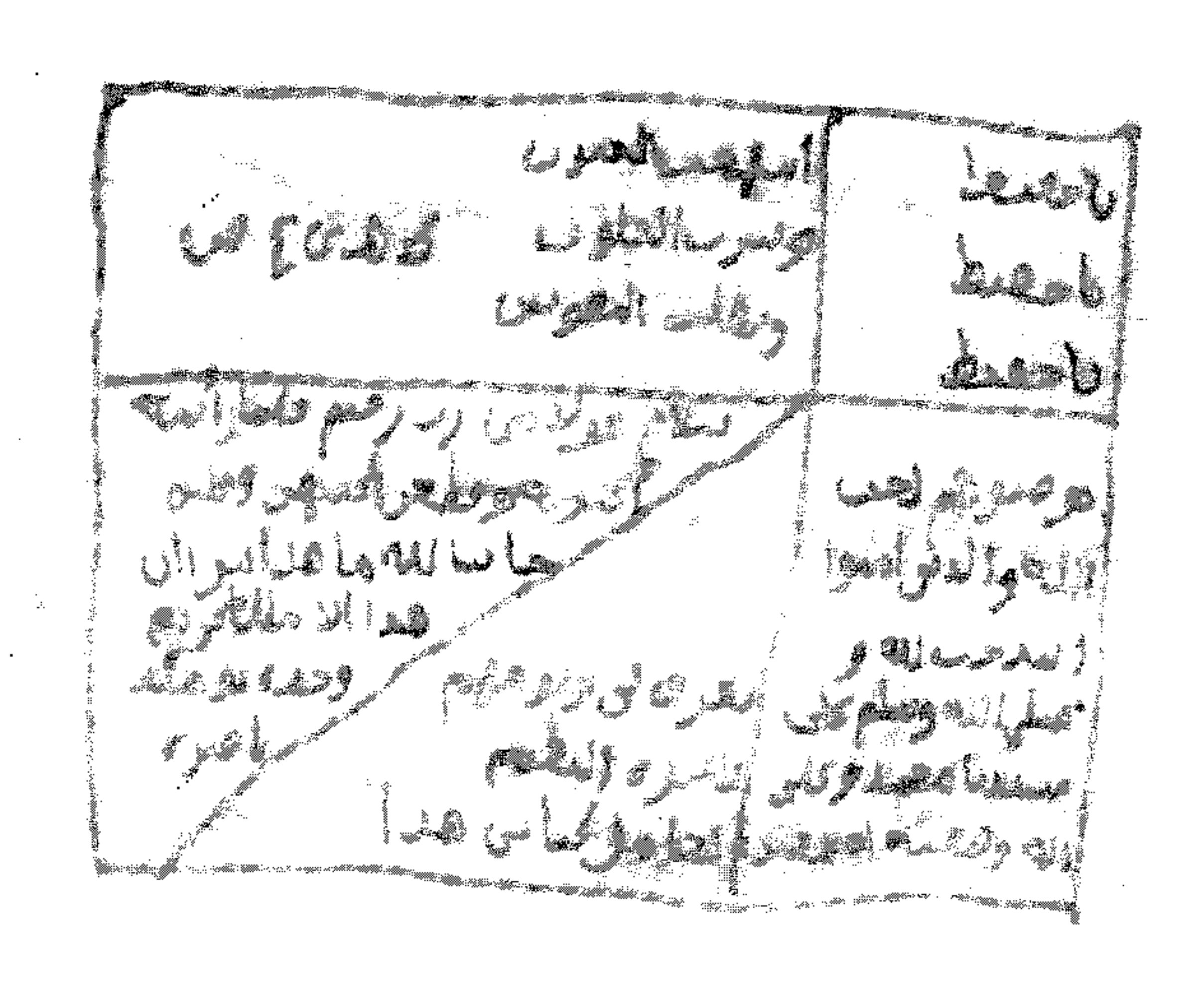
و يطرح "الطالب" على المريض عدة أسئلة قبل أن يستيقظ، و الأسئلة الرئيسية تدور حول معرفة هوية الجن الذي يوجد في جسم الشخص المصاب أو المسكون كما يقال و كذلك حول هدف زيارته: مع تكرار نفس الأسئلة: ما هو اسمك ؟ ماذا تفعل هنا ؟ المريض في حالة شبه يقظة ينتهي إلى الإجابة بذكر اسم شخص و منها يتمكن "الطالب" (حسب ما يبديه) من معرفة هل الجّن أبيض أو أسود و هل الجن مسلم أو كافر.

و لزيارة ضريح الولي أو المرابط كما يقال مقابل نقدي, يترك المريض مبلغا من المال على الضريح أو يعطيه "للمقدم" أو "المقدمة" و تسمى العملية "إعطاء الزيارة". و يضاف كمية من الجاوي و شمعة لتضيء المقام. لا يعتبر الوالي مسؤولا عن فشل هذه الزيارات و القرابين ، بل المريض الذي لم يقم بها على أحسن وجه و عندها يقال "معندهش النية" أو "نية قليلة" و تعتبر النية شرطا أوليا و أساسيا في هذا النوع من العلاج.

و يظهر دليل حسن النية أو على الأقل وجودها في المحافظة على العناصر التي تكون الطقوسية المتبعة. أوّلها إشارة "الطالب" أو المنام[1]، و يقال "يوقف عليه الوالي في المنام" و ثانيها إحضار الهدي و أخيرا الزيارة التي تنتهي "بالتسريح"

[1] ارجع إلى المنام في جزء الكهانة

وهي الرخصة التي يعطيها الوليّ للمريض أو الأقارب لمغادرة الضريح. و يرى هذا التسريح في المنام أو يقترح بصفة رمزية.



حرز وجدته في سيارة يوم : 2002/06/05

# الفصل الثالث

# الكهانة و الإطلاع على الغيبي

## الجزء الأول: الكهانة النخبوية

### 1 - خط الرمل

منذ القدم، عندما يهم الشخص بشيء، يبحث عن من ينبئه بالنتيجة. إنه إحساس طبيعي لدى الإنسان, سواء كان مشروع سفر، أو مريضا يهتم به، أو صديقا غائبا، فيلتجئ "للطالب" الذي من مهامه التنبؤ و إعطاء ما يسمى "بالفال". فيبدأ "الطالب" بتكهنات سيّئة, وهذه الطريقة تمكنه من تحضير المَريض مقابل أجرة نقدية لبعض الطلاسم و الكتابات موجهة لإبعاد المضرة عن الفرد.

و العديد من "الطلبة" يخترعون طرقا غريبة. فقد وصلنا كتاب مشهور في هذا العلم هو كتاب "الفصل في علم الرمل" للشيخ محمد الزناتي, و يحتوي على ست و ستون صفحة لكن بدون إشارات مكانية أو زمنية عن صدوره[1]

تشتمل طريقة خط الرمل على ستة عشرة رمزا يعادل كلّ رمز كلمة أو عبارة:

- 1 الجودلة
- 2 الأحيان
- 3 الفرح
- 4 البياض
- 5 نقي الخد
- 6 العتبة الخارج
- 7 الخمرة
- 8 الأنكيس
- 9 النصرة الخارجة
- 10 العقلة
- 11 الاجتماع
- 12 النصرة الداخلة
- 13 الطريق
- 14 القبضة الخارجة
- 15 القبضة الداخلة
- 16 الجماعة

[1] <<و حتى يعطي المؤلف أهمية لكتابه فإنه يزعم أن هذه القواعد أمليت في المنام على النبي إدريس و الذي علمها لمن بعده>> أبو بكر عبد السلام بن شعيب في المجلة الإفريقية رقم 1906.50. ص 62

## 2- الاستـــنـــزال

معناه طلب يوجه إلى الجن بالنزول في شيء، معين و إخبار الذي يطلب الفعل بواسطة الطالب بأسرار أو أمور يجهلها. سمعت أول مرة بهذه الطريقة التنبئية في حديث مع امرأة اختفى زوجها منذ سنوات و لم يظهر له أثر.فأخذتها أمها إلى "الطالب" حتى يطلعها على مكان تواجد زوجها أو يفيدها بخبر عن بقائه على قيد الحياة أو وفاته. و لهذا الغرض أخذت معها ابنها حتى يستعمله "الطالب" كواسطة يرى من خلالها عالم الجن.

و للاستنزال شكلان: شكل يدعى الاستنزال في المداد و الثاني الاستنزال في المرآة.

### 2 .1 الشكل الأول : الاستنزال في المداد

- ترسم اللوحة السحرية على مربع من الورق.
- يكتب "له الحق و له الملك" على كل ركن من الورقة.
- يوضع هذا الورق مبسوطا على اليد اليمنى لطفل أو طفلة أو فتاة بكر.
- في مركز اللوحة أو الجدول السحري توضع قطرة مداد كبيرة على شكل يمكن أن يكون نصف دائرة لمّاعة وعلى سطحها نرى انعكاس الأجسام المحيطة في شكل صغير.
- يبدأ "الطالب" في ترتيل بعض العبارات و لا ينقطع عن ذلك إلا إذا هبط أو نزل الجن و يتم سؤاله.

### 2 .2 الشكل الثاني:الاستنزال بالمرآة

- الطالب يمكن له أن يعمل في غياب الحضور.
- ينقل الجدول السحري على ورقة صغيرة يلصقها في ظهر مرآة يد صغيرة.

– يكتب على كف يده اليسرى "كهيعص" و التي يعتبرها الطلبة ذات مفعول خارق.

– ثم يكتب في مربع صغير" فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد" ثم يضع هذه الكتابة على أسفل جبهته, ما بين العينين، إنها تمكنه من نظرة ثانية.

– ينعزل في غرفة و "يبخر", العينان ملتفتتان إلى الأسفل و يرتل عبارات بدون انقطاع حتى يرى بعينه الجن ينزل على المرآة.

– يعيد نسخ الجدول السحري كما ورد في مقال إ. لوفيبير [1] و كذلك الذي استطاع أن يحصل عليه من الطالب: " فصل في الاستنزال و صرع الجان. نكتبه على يد الصبي "الزهري" أو خادم أو امرأة مملوكة و تكتب على جبهته "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم صحيح" ثلاث و تكتب على أحد الخدين " فبصرك اليوم" و على الآخر صحيح"ثلاث. تكتب على يده الخاتم و تكتب على الأصابع الخمس: الإصبع الكبير "إقيلوم الفقيش"( ؟) و على السبابة "أقشر أقشروني" و على الوسطى "شمايل شمايل" و على الخنصر" سبوع سبوع" و على الصغير"بليع بليع"(؟). تبخر بالجاوي و القصبور و تعزم بالشمس و ضحاها الخ خمس عشرة مرة و تقول: أنزلوا بارك الله فيكم و لا برك في غيركم حتى تنزل عشرة من القوم و تأمرهم بالكنيس (التنظيف) و الفراش و حط(وضع) الكراسي وبذبح كبش و بالضيافة للسلطان. و تأمرهم بالأكل و الشراب و بدفع المغسل والمنديل الأحمر إلى السلاطين لغسل أيديهم و مسحها و بإخراج دليل الخيرات وبفتحه على روضة النبي صلى الله عليه و سلم حتى يحلفون(يقسمون) لك فيه ويخبروك بكل ما تريد. و اسألهم عن ما شئت بهذا الخاتم انتهى. و إذا أردت أن ترحلهم تقول: انفروا خفافا و ثقالا فإذا قضيتم الصلوات فانتشروا في الأرض

[1] E.Lefebure. R.A. n°63. 1922. pp 223-224

وابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون انصرفوا يرحمكم الله ثلاث مرات "[1]

نلاحظ بعض التشابه في هذه العملية التكهنية مع عملية رؤية الجن في البلور و التي لا زالت مستعملة في أوروبا. كذلك هناك استعمال آيات قرآنية بطريقة فريدة بغض النظر عن معناها و أسباب نزولها و الموضوع المتعلق بها. هذه الظاهرة أشبه بالتنويم المغناطيسي و الذي ينجم عن تثبيت النظر على شيء لماع. و نفس التحليل تقريبا ذهب إليه ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر.[2]

[1] R . A. n° 63 . 1922 . p222

[2] ارجع إلى باب السحر ابن خلدون المرجع نفسه ص ص 311 /315

## الجزء الثاني: الكهانة الشعبية

إذا كان احتراف ضرب الرمل و الاستنزال من اختصاص الرجال ويستلزمان قسطا من معرفة القراءة و الكتابة فإن الأوساط الشعبية و خاصة النسوية أبدعت طرقا للتكهن فمنها و هي قديمة فمنها ما اندثرت و منها ما يزال يمارس.

### 1. الـفـال

هو نوع أقرب إلى التفكير أو الاستنتاجات من التقارب و الموازاة الزمنية منه إلى التعريف أو القرابة الحقيقية. هذه الصيغة الفكرية شائعة في حضاراتنا المعاصرة على شكل فال (فأل) و تستعمل كلمة présage.

فمثلا الجماعات في المقاهي أو في درب من الحومة (الحي) عندما يؤذن للصلاة يسكت الجميع و يقال "الله أكبر الحق", تفرض هذه المقولة السكوت على الجميع كما تعتبر فأل و كأنه أمر توقفي: توقف اعتراض، أو إقدام على اتخاذ قرار.

تستعمل هذه الكلمة بكثرة عند التجار. عندما يفتحون دكاكينهم يبدون نوعا من المرونة في المساومة لتحديد سعر بضاعة ما لأول زبون يدخل الدكان. ويحاول الزبون استغلال هذه المرونة للحصول على سعر مناسب.

و ينطبق الفال على كل عملية سحرية، تمارس لغرض الحصول على تنبؤات.

#### 1.1 البوقالـة

هي من الطرق التي شاعت على المستوى الوطني في استعمالها و يظل استعمالها في تلمسان محدودا.

تملأ القلة أو الجرة بالماء و يوضع داخلها خاتم من فضة أو سوار "حتى يدخل الجن لأنه يحب الحلي" و تعطى لكل حاضرة حبة فول تضع عليها علامة

تمكنها من التعرف عليها. يجب الإشارة إلى أن كلمة الفول لها تجانس أو جناس مع كلمة "قال". تمّ تجمع حبات الفول في بوقالة تغطى فجوتها بشاشية أو قبعة فتاة بكر. و يرمى على النار الجاوي والحناء و قطع من ثياب امرأة من دون زوج وبعض القطرات من الزيت و قطع خشبية صغيرة من سبعة أبواب مختلفة. و بعد هذه التبخيرة، يوضع الإناء في وسط الحاضرات, أمام اللواتي يعرفن البوقالات فينشدنها في مجموعة من أبيات شعرية عامية،تقليدية في أغلب الأحيان و غير مؤلفة في تلاؤم مع الظرف. و عند الانتهاء من الإنشاد، تأخذ فتاة بكر من الحاضرات حبة فول و المرأة التي تم اخذ فولتها فتعطى لها الكلمة حتى تعبر عما يدور في خيالها عن طريق بعض الرموز رابطة علاقة بين ما تنشده و ما يدور في اهتماماتها. و تعاد العملية ثلاث مرات. فهذه الطريقة تعتمد على الميزة السحرية للماء. وهناك طريقة ثانية يمكن إدماجها في السياق نفسه (البوقالة) و هي ما تسميه النساء "البوقالة أنتاع تكّة العاتق"( "التكّة" خيط فيه مطاط يمكن شد السروال).يؤخذ هذا الخيط من سروال فتاة فيعقد مع الذكر الذهني لإحدى الحاضرات. و عند نهاية العملية تحل الفتاة العقدة مع القول "هذا ينطبق على خالتي فلانة"و بعد "البوقالة" تتجلى إهتماماتهن في المنام. "المرأة التي تنام، بعدما رمت جرعة من الماء الذي استعمل، فإذا طلبت طفلا، تظن أن هناك واحدا يبكي من حولها فالجن يعدونها بخصوبة قريبة. و من تريد الزواج تسمع الزغاريد التي تخبرها عن زفاف قريب في المدينة نفسها و صفارة قاطرة تتبؤها بزوج (في القريب) و لكنه هذا آت من بعيد". و الواقائع الحقيقية لها دلالتها عن طريق نسق تقليدي من التخمينات فمثلا نباح الكلاب في الليل يدل على أعداء ملاحقين.

و هذه الظاهرة تحولت إلى ما يسمى بضرب البوقالة عند "الشوفات"[1] لكن عند البعض الآخر لم تعد سوى لعبة بين النساء توفر فرصة في السهرات الطويلة للحديث عن الأمور العاطفية، و التنبؤ و التحضير لزواجات و من خلالها تقدم عبارات مدح أو عتاب التي تمكن من إظهار مهارات الفتيات, الفكرية و اليدوية

[1]"الشوفات" جمع "شوافة" و يقال كذلك القزانة

مثل حسن الكلام أو كما يقال "عندها الجواب" و كذلك مختلف الحرف النسوية التي تحسنها أو كما يقال " كل إصبع بحرفة "

و إن كانت البوقالة تؤدى جماعيا فهناك تقنيات نسوية أخرى و لكنها فردية الاستعمال نذكر منها ما يلي:

### 2.1 الفال في السطح:

عندما تريد المرأة الاطلاع على المستقبل أو كما يقال تشوف السعد فعليها أن تصعد إلى السطح في وقت تنقطع فيه حركة المرور. وقبل أن تقدم طعام العشاء لعائلتها تأخذ منه مقدار صحن غير مسقي" بالمرقة", بعدها تقف في السطح و تأخذ حفنة من "الطعام" بيدها اليمنى فترميها بكل مالها من قوة اتجاه الجنوب و تقول: "إذا كان من القبلة أيجيني و إذا من الشرق أيجيني و إذا من الغرب أيجيني و إذا من البحر أيجيني سعدي بين السعود أيجيني و الناس رقود " ثم تجلس فتوجه نظرها إلى الشرق و تنصت. فإذا لم يأت شيء، توجه سمعها نحو الجنوب، فالغرب فالشمال "الي تسمع تولويل كما في الأعراس زواجها قريب. و الي تسمع صوت بغل يحرك لجامه تتزوج رجلا من الريف. و الي تسمع بصوت "الزحمة"[2]عندها طفل تنتظره من مدة. و الي تسمع صوت النقود عندها ارث، و وفاة و الي تسمع صراخ و النديب عندها موت ". و حفنة الطعام يمكن استبدالها بحفنات من التراب و لكن يجب أن يؤخذ من ثلاث جرات مختلفة.

### 3.1 الفـــال بالتراب :

إن المرأة التي تريد أن تسأل الأرواح تخرج من بيتها و هي مغلقة العينين. فتأخذ حفنة تراب من وسط الطريق ثم ترجع إلى بيتها و تقول: " ارفدت المزعزع من حجر أمه ما نردهش لمظربه(مكانه) حتى يهدر(يتكلم) لي كل شيء بفمه ". ثم تضع حفنة التراب في فراشها و أثناء نومها و في المنام تحصل على الإجابة.

---

[2] الزحمة هو الصوت التي تخرجه المرأة لحظات الولادة

### 4.1 السبع قميحات :

يزعم البعض التعرف على شكل بشري متفاوت الوضوح في بعض حبات القمح حيث تجمع سبع حبات فتصبغ بالحنة أو الزفت أو القطران، ثم تلف في قطعة قماش و تقول ثلاث مرات "اربطتكم بالقطران، أتجيبوا لي خبر من تلمسان. حشمتكم بالله و النبي رسول الله اتوريو لي في منامي اللي راه في قلبي." و بعدها توضع العقدة التي تحتوي الحبات تحت الوسادة، فيظهر في المنام ما يراد رؤيته.

## 2- القـزانــة

### 1 .2 القــزانة بالفحم :

تستعمل خاصة في موضوع زواج، ولادة منتظرة أو طلاق مخيف حيث تختار قطعة فحم فيرسم عليها ملامح الوجه مثل الحاجبين و تكسى بلباس على شكل عروسة الأطفال, ثم تؤخذ في اليد كما يؤخذ الطفل و تنشد هذه القراءة : "بالله لــوْ ما ثْوَرِيوْ لي عْلاشْ رَانِي نَشْكِي, رَانِي نَشْكِي لــكْ وَ نَبْكِي لـكْ لــقَسْــتْكْ في النَارْ وَ نَحَرْقــكْ." و بعدها توضع قطعة الفحم في الفراش كالصبي أو تدخل في المخدة. تكون المرأة متأكدة من أن خادما أو عبدة أي امرأة ذات بشرة سوداء ستأتيها في منامها بالأخبار التي تسأل عنها. ونفس الطريقة تتبع و للغرض نفسه و لكن بحبة ثوم عوض الفحم.

### 2 .2 القزانة بالملح

تطلب سبع حبات ملح من سبعة بيوت مختلفة و سبع حفن من الطحين بنفس الكيفية وسبع قطع من شحم الخروف من سبعة دكاكين ثم تحضر "خبزة" و تطهى على الطجين فتأكل المرأة التي تريد سؤال الجن من هذه "الخبزة" قبل نومها و عينها مغلقتان.

و هذه الطريقة تستعمل عندما يظهر مشكل عائلي يهدد انسجام العائلة خاصّة بين الأزواج.

## 3.2 الغزانة بحبة النجا(ة)

تستعملها النساء اللواتي يحضرن الخبز في بيوتهنّ. في بعض المرات في "الخبزه" حبة قمح نجت من الطاحونة و يقال كذلك "الرحا"، كليا أو جزئيا إنها حبّة ناجية و منّجية. فتلف المتكهنة حبة القمح في قطعة قماش و تعصب بها رأسها أي تديرها على محيط رأسها و تنام بها وإذا فشلت العملية تقوم بتكرارها. و هذه الطريقة تستعمل للمعرفة المسبقة لنتيجة محاكمة.

## 4.2 التقزان بضرب الخفيف:

هذه العملية أكثر شيوعا من سابقتها و هي عملية تتعاطاها النساء و تتمثل في إذابة الرصاص ثم وضعه في مهراز[1] مملوء بالماء فيعود الرصاص إلى حالته الصلبة و لما كانت عملية التصلب سريعة يأخذ الرصاص أشكالا متنوعة, ثم تقوم القزانة بتأويل الأشكال المحصل عليها.

إنّ ثقة النساء في هذه التكهنات تمكننا من ملاحظة وجود ثلاث مسلمات:

أولا أن الجن موجودون في كل مكان"في كل مضرب" و لا يمكن لشيء أن يخفى عليهم.

ثانيا أن الليل هو الوقت الذي يستغله الجن لقضاء حاجاتهم.

ثالثا أن الجن لا يكذب و ما يقوله يتحقق.

## 5.2 القزانة بالبطاقات أو ورقة الجن

هذه الطريقة مشهورة جدا و تسمى في الأوساط الشعبية "بضرب الكارطة " و من ميزاتها أنها اختصاص نسوي. و قد أخبرتنا بما يلي السيدة رقية التي كانت تحترف هذا النشاط حتى سنة 1977 و التي تقطن حي سيدي يعقوب بتلمسان. "تشتري المرأة التي "تضرب الكارطة" لعبة الورق فتبعث لهذا الغرض طفلا أو

[1] المهراز: أداة مطبخية تصنع من الخشب أو الحديد. متكونة من جزأين مستقلين جزء يسمى "الرزامة" عبارة عن قطعة حديدية أو خشبية تؤخذ من وسطها في اليد و يضرب بها على المادة الموجودة في "المهراز" (أي الجزء الحاوي). يستعمل "المهراز" في سحق التوابل و الحنة.

طفلة. ويغمس بعد ذلك مجموع الورق في الكحول, تقول أنها " تسكرها" بتركها طيلة الليل في الكحول. في اليوم الموالي تبخر اللعبة بالجاوي. و قبل كل هذا يجب أن تحرق اللعبة القديمة عقابا على الكذب. تضع الأوراق الجديدة على شفتيها و تفرض عليها هذا القسم "احذروا، نقيسكم في النار إذا كذبتوا كما قست خواتتكم". و أثناء عملية التقزان تقيم الشوافة التبخيرة, بعدها تقسم اللعبة إلى ثلاثة أقسام وتسمى هذه العملية "القطيع" (من فعل قطع) باليد اليسرى قائلة هذه القراءة (أو القراية كما تسميها): قسمتك بيد الشمال اقزانتي تخرج بالكمال".

القزانات "بضرب البطاقات" تزعم أن هذه اللعبة جدية و هي التي تأتي بالأخبار التي تسأل عنها و لذا يجب معاملة هذه الجنية أحسن معاملة, وحتى تستنطقها تشرّبها أو تسكرها بوضع البطاقات في الكحول.

## 3 – المنام و التكهن

هناك عبارات دخلت في القداسة نجد فيها تفسيرا متجانسا لظواهر السّبات والمنام أي الرؤية حيث نسمع المقولة "لما ينام الإنسان روحه تحوس (أي تتجول)". و عندما ينام جيدا فهذا لأن روحه في الجنة كما يقال " منام من الجنة ", تخرج روحه من فمه على شكل فراشة أثناء نومه, و عند عودتها يستيقظ الشخص و إذا لم تعد مات الشخص.

و عليه يمكننا القول أن النوم ما هو إلا فراقا مؤقتا بين الجسم و الروح بمعنى آخر انسحاب الجزء الروحي المحرك لذاتنا من الجزء المادي. من هنا كانت الاستعارة المستعملة في الدلالة على النوم" خو(أخ) الموت" أي يشبه الموت. كذلك في الغيبوبة أو "الجديب"، الروح تفارق الجسد "تغيب" كما يقال,و تجد حريتها في العالم فوق الطبيعي، فتتحاور مع الأرواح و الأولياء و الجن. و لذا يحتر دائما من إيقاظ النائم بسرعة. الكلمات المنطوقة أثناء النوم تسمى "التهتريف" (من فعل يهترف) و يمكن اعتبارها تنبؤات. المنام أحداث واقعية تجد الروح نفسها مشاركة فيها أثناء النوم.

تأتي الأحلام من لقاءات و تحاور بين الروح المتحررة من الجسم و القوى الخفية الأقوى منها, انطلاقا من الاعتقاد بتحرك الجن ليلا و تحرر الروح من جهتها، من عبودية الجسم و بالتالي تكون اللقاءات بين هذين النوعين من الجوهر الروحي حتمية.

و بناء على ما سبق قوله, فإن الكهانة التقليدية وسيلة لإثارة هذه اللقاءات لاستشارة هذه الغيبيات. و يثار أثناء الليل موضوع أرواح الموتى, فمثلا ينبئا وجود ضفدعة في مقبرة عن المستقبل ويعتبر استنساخ روح ميت حتى أنه يقال أن " الضفدعة تدعي و تذكر". و تأخذها الفتاة التي ترج زواج معها إلى فراشها, فتظهر الضفدعة للنائمة على شكل امرأة تحدثها عن زوجها المستقبلي, و تحدد لها يوم خطوبتها و غالبا ما تعطيها معلومات و إشارات عن الشخص المنتظر.

كما يعتبر الليل وقتا مناسبا لظهور الأولياء و المرابطين , يكون ظهورهم تارة مفاجئا و تارة نتيجة سبب ما, حيث يمكننا أن نلاحظ ما يلي:

- الأولياء لهم طابع أكثر وضوحا من الجن ربما لأن الوليّ له موقع مكاني.
- يتمتعون بالاحترام و التقديس سواء من الرجال أو النساء.
- يسألون تقريبا بنفس الطريقة.

تأخذ النساء غالبا حفنة من تراب الضريح، ثم تحزم في عقدة و توضع تحت الوسادة. و منهن من يلتقطن قرب الضريح سبع حجرات و تضعها في فراشها ليلة الزيارة[1] و منهن من يضعن أو يخفين في الضريح منديلا أو قطعة قماش من لباس تسترجع بعد ثمانية أيام و يعصبن بها على الرأس عند ما يردن رؤية الولي في المنام أو كما يقال "يوقف عليها في المنام"

أما الوسيلة الأكثر تأكيدا في الاعتقاد الشعبي فهي النوم أمام الولي حيث توجد في الضريح ملحقات من بينها غرفة مخصصة للضيوف و تكون امتدادا

---

[1] الزيارة: هي الذهاب إلى ضريح ولي ما و تعني الكلمة كذلك المبلغ النقدي الذي يدفعه الزائر "للمقدم". ويقصد بها كذلك المبلغ الذي يدفع للطالب و يطلب بوضعه تحت الوسادة ليلة الزيارة و تسمى العملية "يدبر النية"

للضريح. و من ينام في هذه الغرفة يكون متأكدا من نظرة صافية، متجانسة بلا شكوك و الأحداث المتجلية في المنام تكون حقيقة لا يناقش فيها. و تسمى هذه العملية "لمبات في الحرم" أي المبيت في الحرم.

و قد اختص بهذا الأمر ولي في نواحي دائرة ابن باديس في ولاية سيدي بلعباس يسمى سيدي يوسف، أما في ولاية تلمسان فهناك سيدي عبد الرحمن التفراني بنواحي بلدية سيدي العبدلي.

و الولي حسب ما يقال يكون في صورة إنسان و خاصة عسكري أو صورة أسد. أما بالنسبة للنساء فيتمثل في صورة شيخ، شعره أبيض من الشيب.

في بداية رواية حلم أو منام يبدأ بعبارة "ريت وحد الشوفة ". الرؤية التعيسة تثير انطباعا سيئا. تروى الأحلام بنوع من الخشوع خاصة في الصباح. فالجِّد إلزامي، و العرض يجب أن يكون دقيقا إلى أقصى حد. و كل تغيير مقصود يعتبر إثما و منها العبارة "إلى يزيد في منامه يزيد في عذابه ". فالقوى العلوية لا تقبل الكذب في موضوع ما تقوله أو تفعله. و المنام شيء مقدس و ينصح بإخراج صدقة أو كما يقال "خرج معروف" تبعا لحلم مزعج،لأن الصدقة ترد البلاء.

## 4 – المستخدمون في القزانـــة

القزانة هي الإطلاع على أمور خفية و قولها لمن يطلب عنها, و هي شائعة في الأوساط النسوية. على غرار القزانة هناك أشخاص يقومون بنفس المهمة لكن بدون أية طقوسية و هم من الرجال. هذا الحقل تستعمل فيه عدة كلمات تدل على أشخاص مختلفين في طريقة التكهن.

العبارة الأكثر شيوعا هي القزانة أو الشوافة و هي غالبا امرأة. وجودها في الأحياء الشعبية بارز و كذلك في القرى. و حتى تصبح المرأة شوافة عليها أن تبدع قصة خارقة نستطيع القول بأنها أسطورة مؤسسة تظهر من خلالها كيف حازت على الملكات التكهنية و هذا ما استخلصناه من حديث قزانة تدعى ربيعة

والقاطنة بحي أوزيدان بضاحية تلمسان إذ قالت "كنت مضطربة ذات ليلة فصعدت و كأنني مجذوبة إلى سطح البيت بالرغم من الخوف من الصعود ليلا إلى سطح البيت, شفت شوفات كبار ما نقولهم لك- أي أنني رأيت عجائب لا أستطيع ذكرها- ".

أما بالنسبة للمتكهنين الرجال فهناك عدة كلمات تستعمل منها "المملوك" أي أن الشخص صار ملكية للأرواح لا يفعل و لا يقول إلا ما يأمرون به.و نسمع أيضا كلمة "بودالي" أو "بوهالي" و منها كلمة "البهلول" أو "الدرويش" و يقال لشخص تفكيره غير منسجم " راك مدروش" و يمكننا اعتبار هذا الصنف نوعا من الحمق و النشيط جدا مع خيال لا يتحكم فيه. فهناك اعتقاد شائع أن الفرد سواء كان رجلا أم امرأة لما تبدأ "الولاية " (الملكة) تدخله و توصله الطريق، "يقلق" أي أنه يصبح عرضة لأزمات و اضطرابات من طبيعة خاصة يقال عنه "راه مقلق"، يسخن و يهيج حتى يصير "غوتا" في حضرة الأولياء.

هؤلاء الأشخاص يبدون للآخرين في حالة هيجان لكنه منتظم بالرغم من الفوضى الظاهرة. فالموضوع الشائع يتلخص في حالة من الاستلاب العقلي مقسمة إلى قسمين: الأولى هادئة، فيها إحباط و تخشع و الثانية متوترة فيها انسياب كلامي، حركات عنيفة, و كلام فاحش كما يقال في العامية. و الملاحظ أن عددهم يتزايد في السنوات الأخيرة و خاصة الشباب منهم.

فالواحد منهم يتكلم بهدوء مع الزائرين ثم فجأة يتغير الوجه يقال "ياخده الشيء" فيبدو وكأن له رؤية ثانية يقرأ بفضلها ما يدور في العقول و يقول لكل واحد فعله. يعتبر رقيبا على الأخلاقيات العامة و الخاصة منهم من يغوص في حالات غيبوبة تشبه داء النقطة épilepsie ليعود بعد لحظات إلى حالته العادية. إنه يظهر فرقا كبيرا بين الحالة العادية التي يراه الناس عليها و الحالة التي يستقبلهم فيها.

# الفصل الرابع

# وضائف " الطلبه "

## الجزء الأول : تكوين "الطلبه"

### 1- الطلبة المسافرون

لا نعنى في هذه الدراسة إلا "بالطلبه المسافرون" و هذا لا يعني بأن المسار المتبع لديهم هو الوحيد الذي يمكن من الوصول إلى مرتبة "طالب". كل المعلومات التي نوردها في هذا الجزء قد أفادنا بها المخبر المدعو سي أحمد القاطن ببلدة عين يوسف و هو أستاذ بإحدى ثانويات الولاية و طالب يحفظ القرآن و يكتب الحرز. و لم نحصل على هذه المعلومات مرة واحدة و لكن عبر لقاءات متكررة.

تطلق هذه التسمية على الذين غادروا ديارهم و أهلهم و ذويهم و التحقوا بمساجد فيها يعلم و يحفظ القرآن الكريم. عندما تقول "طالب مسافر" يتبادر للذهن الطالب الذي يحفظ القرآن بعيدا عن بلدته. و يخرج عن هذه التسمية (المسافر) الطالب الموجود بين أهله في تلك البلدة التي يتواجد فيها المسافرون. فيسمى الطالب الموجود بين أهله صغيرا أو كبيرا "المزغيدي" و الجمع يطلق عليه اسم "أمزاغدية" أو "لمْزاغدية" أو "لمْزاغيد". و يقال في أوساط الطلبة المسافرين مثلا " " ثلاثة تفسد المساجد:البق والبرغوث و المزاغيد "

بعدما يخرج أو يكمل أو يختم القرآن الكريم ستون حزبا مرة أو مرتين على الأقل, سواء حفظه أم لم يحفظه مع مراعاة سن الرشد, يستطيع المسافر أن يفارق أهله و أن يتحمل عبء السفر من مشقة و جوع. ليس هناك تحديد للسن حتى ولو كان الشخص في الثلاثين من عمره أو أكثر و أراد السفر لحفظ القرآن الكريم فهذا مقبول. و غالبا ما يكون للمسافر مبادئ الحفظ أي سبق له أن حفظ بعض السور أو بعض الأحزاب من القرآن و لا يمكن لشخص لم يقرأ بالزوايا أو الكتاتيب القرآنية أن يطمح لأن يكون مسافرا. يكون المسافر مبتدئا أي قادما من بيت أهله أو قادما من مسجد آخر قد أقام به من قبل أي أنه قد قطع شوطا في عملية الحفظ.

يحتاج المسافر إلى زاد يتمثل في الملابس، الفراش و بعض النقود, و البحث عن كل هذا هو ما يسمى"طلب السكنى". فعندما يصل إلى المسجد يتصل أولا بالطلبة ويطلبهم في السكنى معهم فيقول لهم "جئت أطلب السكنى". و تكون الإجابة بالقبول أو الرفض و هي مرتبطة بعددهم. فلا يتجاوز العدد طاقة استيعاب المسجد أي حسب مساحة السكن و كذلك وفرة موارد الأكل. فإن كان العدد كاف لا يقبلونه بحجة ضيق المسكن و قلة الأكل, و إن كان العدد قليلا قبلوا به. بعدها يتصل بالشيخ ليطلب موافقته، فالشيخ يوافق بموافقة الطلبة و موافقة الطلبة تكون مرهونة أيضا بموافقة الشيخ. و عندما يقبل المسافر معناه أنه قبل في الإقامة التامة أي النوم، الأكل، و الحفظ بشروط يمليها "المقدم" و تكون هذه الشروط مرتبطة ببعض خصوصيات المسجد.

و يمكننا التمييز بين نوعين من الشروط : العامة و الخاصة.

## 2- الشروط العامة

- الدور و يقال "التور" من الفرنسية tour. إذ يلتزم الطالب المسافر باحترام الدور أو "التور" و معنى ذلك أنه يقوم بجميع الأعمال الضرورية المرتبطة بالحياة اليومية طيلة أحد أيام الأسبوع. فيقوم بالطبخ في حالة اعتماد الطلبة المسافرين على طبخ طعامهم بأنفسهم وكذلك غسل الأواني، تنظيف البيوت، ملء الماء الخ... و هذا بالتناوب. و تقال الكلمة للذي يسعى إلى حمل الطعام من بيت أحد المحسنين إلى المسكن.
- تنظيف الجامع مرّة كل أسبوع.
- أن يستقدم فراشا إذا لم يوجد بالجامع.
- أن يلتزم أخلاقيات الجماعة.

## 3 الشروط الخاصة

- يلتزم طرق التدريس و الحفظ.

- عدم الانقطاع عن الحفظ أو المبيت في الجامع فإن حدث ذلك بدون تبرير يطرد من السكنى و بالتالي ينتقل إلى مسجد آخر حتى يتم حفظ القرآن.

- الهندام : يجب على المسافر ارتداء هندام لائق متمثل في العباءة و ثوب لتغطية الرأس "كشاشية" أو "الشد" (يقال له كذلك رزة) و ذلك داخل المسجد و يمكنه ارتداء ثياب أخرى خارج المسجد.

- قراءة الحزب و تتمثل في قراءة حزبين متتاليين من القرآن الكريم يوميا بمسجـد القريــة و يكون التوقيت حسب ما هو معترف عليه بالجامع و غالبا ما تكون هذه القراءة عقب إحدى الصلوات باستثناء صلاة الصبح و إذا امتنع عن تأديتها يطرد من السكنى.

- "<u>التخميسة" أو "التخوميسة</u>" أصل الكلمة من "الخميس" و تتمثل في احترام موعد العطلة الأسبوعية المبرمجة لعشية يوم الأربعاء و الخميس. إذ ينتقل فيها الطالب المسافر إلى بيت أهله على أن يرجع يوم الجمعــة و يقال " الطالب الفلاني خومس عند والديه" ما عدا هذين اليومين لا يمكن للمسافر أن يذهب إلى بيت أهله إلا لضرورة ملحة. يتداول المسافرون مقولة مشهورة تعرف كذلك خارج أوساطهم و هي " تشميسه و لا تخميسه", فأما "التشميسه" يقصد بها الجلوس و التعرض لأشعة الشمس و أما التخميسة معناه الذهاب للبيت يوم الخميس, يقولها المسافر عندما لا يرغب في ذلك , معنى هذه المقولة أنه يستحسن البقاء بالمسجد .

- يشترط أن يكون المسافر معروفا لدى المسافرين الذين ينوي العيش معهم. وهذه المعرفة بالمسافر تتلخص في كونه ليس لديه سوابق أي أنه لم يسبق له أن سكن بالمسجد و طرد منه أو قد طرد من جامع آخر.

- <u>التخناش</u>: تقال هذه الكلمة لما ينتقل الطالب المسافر من مسجد إلى آخر لمتابعة الحفظ و انتقاله يكون بسبب خلاف مع الطلبة الآخرين. و قد يكون بدون سبب ويشعر بذلك الشيخ إن شاء و هذا من أجل اكتساب رضاه.

- على المسافر التزام أخلاقيات القرية أي أنه لا يدخن و لا يأكل التبغ (و تسمى "الشَّمَه ") جهرا, غير أنه من يريد ذلك فبإمكانه القيام به في سرية كما يجب أن لا تظهر فيه شبهات.

- يجب على المسافر أن لا يلازم أهل القرية بكثرة كأن يلجأ إلى بيت أحد سكانها و يعتبر ذلك انقطاعا عن زملائه و هذا لا يسمح به. و تفسير هذا هو اتهام من يقوم بذلك بالبوح بأسرار المسافرين كأن يكشف عن أحدهم أنه من المدخنين. بيد أنّه يمكن للمسافر أن يستقبل ضيوفا من أصدقائه و حتى إيوائهم لمدة معينة.

- يعاقب المسافر عند ارتكابه لبعض المخالفات الخفيفة بدفع غرامة مالية لصالح زملائه تتمثل في ثمن مقدار من الشاي و السكر.

- لا يقبل من الطالب المسافر أن يكون له نشاطا مهنيّ دائم و موازيّ لأن ذلك يعيق عملية الحفظ و يسمح بالمشاركة في بعض الحملات الفلاحية الخاصة بالجنيّ مثل الزيتون أو الكروم و هي حملات موسميّة لا تستغرق وقتا طويلا, هذا حتى يتمكن الطالب المسافر من الحصول على بعض ما يحتاجه من النقود.

إذا أخلّ المسافر بأحد هذه الشروط يشكو المقدم أمره إلى الشيخ المكلف بالتحفيظ ليطرد من السكنى.

- **العواشير**: و تقال عن العطلة السنوية و مدتها متقطعة تتبع الأعياد الدينية: العيدين، عاشوراء و المولد النبوي, مدتها تتراوح بين خمسة عشرة و عشرين يوما.

إن القول بقبول كل الالتزامات المذكورة لا يكفي فالطالب المسافر حين يقبل في السكنى يمر على امتحان أولي يسمى التجربة أو الاختبار.

- **التجربة أو الاختبار** و يراد من هذا الامتحان معرفة هل سبق له أن سافر أم هذا سفره الأول و هل هو طالب شجاع أم لا. يحتوي هذا الامتحان عند الطلبة المسافرين عدة لعب منها: يتموه أحد الطلبة بصباغة وجهه و يديه بالدواية, و يلبسونه جلابيب ممزقة و يجعلون منه ما يشبه شبحا و" يتفقون عليه كما يقولون " فإن كان قد سبق له أن سافر فلا يخاف بل يتعرف عليه لأول وهلة

فإن لم يسبق له السفر أو كان طالبا "جبان" فيستنجد بهم أو يلجأ إلى عصا أو البكاء كأقصى حالة.

و هناك لعبة أخرى تسمى "المخدة" أي الوسادة و تسمى كذلك لعبة "واسْطـــاه" تتمثل فيما يلي: يطفئون الضوء و يتفقون على ضربه فإن كان قد سبق له السفر فيصبر و يصمت و لا يتكلم حتى يظنون أنه انتقل إلى زاوية أخرى من زوايا البيت أما إن لم يسبق له أن سافر فيستنجد بالعويل و كأنه يقول لهم ها أنا اضربوني.

– **كفروا** و هي وسيلة تأديبية, فهذا المصطلح يطلق على الطالب الذي يراد تأديبه فيتفقون جميعا على أن يهجروه و لا يتكلموا معه حتى يتوب فيقال "داروا عليه كفروا "

## الجزء الثاني : الترتيبات المتّبعة في تحفيظ القرآن

### 1- "السكنى" أو التنظيم الاقتصادي لعملية تحفيظ القرآن

يمكننا تحليل مفهوم هذا المصطلح فنتعرض إليه من جانبين: الجانب التنظيمي أو الإجرائي و الجانب المالي.يدخل تحت الجانب التنظيمي لمصطلح السكنى الإيواء و التغذية و أما الجانب المالي فيؤدي بنا إلى التحدث عن التكفل بالتكاليف المالية..

تنظيم السكنى: و نتعرض لهذا من جانبين الجانب الأول هو الإيواء والجانب الثاني الأكل.

- **الإيواء** : نشير به إلى مكان النوم, و يكون النوم جماعيا في غرفة أو بيت داخل المسجد أو بالجامع نفسه. و في حالة تعذر وجود بيت داخل الجامع يمكن لأحد أفراد القرية التكفل بإيواء المسافرين لكن يشترط أن يكون البيت قريبا من الجامع.

- **الأكل** : يتناول المسافرون طعامهم بالجامع. و يكون إما محضرا من طرف أحد المسافرين و ذلك حسب نظام "الرتبة" أو الدور - كما تسمى كذلك "الدالة" - أو يجلب من عند أحد سكان القرية حسب نظام الرتبة كذلك.

- **الرتبة** - بفتح الراء- أو "الدور" في هذه الحال يتكفل فرد من القرية بإطعام كلّ المسافرين طيلة اليوم، صباحا مساء (و منهم من يقوم بغسل ثيابهم). حيث تعلق قائمة داخل قاعة الصلاة حتى يعلم كل واحد دوره أو يكلف أحد المسافرين بإبلاغ صاحب الرتبة أو الدور. فإما أن يذهب المسافر لصاحب الرتبة لجلب الطعام أو يجلبه القروي نفسه و في حالات أخرى تقدم دعوة للمسافرين إلى الفطور والعشاء عند صاحب الرتبة. فهي وجبة تقدم من طرف المحسنين يوميا و هي راتبه عليهم

بالتناوب بالكيفية التي ذكرناها. فإن أراد أحد المحسنين أن يتوقف عن إحسانه لسبب ما أو بدونه فله ذلك.

- **التصراف** و في نفس المجال هناك ظاهرة فريدة من نوعها و هي ما تسمى "بالصَريفة" أو "خليطة الطلبه" و يقال كذلك "المخلوط". حيث يقوم المسافرون بالمرور في شوارع القرية فيجمعون ما يهْدىَ لهم من طعام في إناء كبير يسمى "قزار". و يضع المسافرون كل ما يحصلون عليه من طعام في هذا الإناء الوحيد, كما يذهبون إلى السوق ليجمعوا ما يهدى لهم من خضر و يتعدى الأمر إلى جمع الدواجن و المواشي. و يقال في العامية عن شخص يذهب لسوق الخضر و الفواكه أنه "مشا يصرف" أو أنه جاء "بمصروف"، و تعني هذه الكلمة كذلك مبلغا من المال.

وبالإضافة إلى كل هذا هناك كلمات تستعمل في أوساط "الطلبه المسافرون" تتعلق بالسير المادي للحياة اليومية

- **الزرده** عندما يستدعيهم أحد الناس إلى وليمة يسمونها زرده. يقال "عندنا زرده عند فلان أو رانا معروضين".

- **الملاقه** و هي الكلمة التي تدل على وليمة ما، تنظم بمناسبة أفراح أو أتراح تكون إما فاتحة لزواج أو قدوم شخص من الحج أو دخول بيت جديد أو جنازة أو غير ذلك, و فيها تقرأ آيات قرآنية, مناسبة و يحصل فيها "الطلبه" على مبلغ من المال يتقاسمونه فيما بعد. و عدد الآيات التي تتلى يمكن أن يتحدد بالموقع الاجتماعي لصاحب الوليمة و هذا يظهر جليا خاصة في الجنائز و التلاوة يمكن في هذه الحال أن تتبع بمدائح دينية .

- **الحريف** بضم الحاء هي القسمة من المبلغ المالي الذي يجمعه الطلبة من الملاقه. و تستعمل الكلمة في العامية للدلالة على قطع بعض الأجزاء من شيء ما.

- **التشميخة** و هي كلمة شائعة الاستعمال و ليست خاصة "بالطلبه ", تقال عندما يشتري أحدهم لباسا جديدا مثلا جلابة جديدة أو حداء جديد يقولون له "شمخها لنا"

- **التقصيرة** كلمة تقال في ليلة الخميس حيث يجتمع "الطلبه"عشية يوم الأربعاء للترف فيأكلون ما طاب و لذ و يشربون و يلعبون عدة لعب.

- **السفيرة** تقال عن الشيء الذي يضعون عليه الطعام فيتجمعون حوله للأكل أو شرب الشاي و تدل الكلمة على مائدة شكلها دائري كما هو الحال في جميع جهات الوطن، قطرها غالب ما يكون قريبا من المتر الواحد, لها ثلاث أرجل. وهناك مائدة صغيرة لا يتعدى قطرها ستون سنتيمتر, لها ثلاثة أرجل و يدور بمحيطها لوح مسطح لا يتعدى عرضه خمسة سنتمترات يعطي للمائدة شكل إناء, بها ثقب يسمح للسوائل بالجريان و يطلق على هذه المائدة اسم "الطيفور" ويستعمل كذلك في البيوت عند تناول القهوة أو الشاي.

## 2- المراتب عند الطلبة المسافرين

- **المقدم:** هو أحد الطلبة يقدمونه في شؤونهم الداخلية و الخارجية أي منسق بين الفرد و الجماعة, يأتمرون بأمره و ينتهون بنهيه. و عندما يحتاج أحد سكان القرية أو البلدة إلى "الطلبه" لوليمة أو جنازة يتصل بالمقدم و هو الذي يقودهم. و المقدم منسق بينهم و بين الشيخ و من شروطه أن يكون طالبا متواضعا، صبّارا، بشوشا، زاهدا يشبه الدرويش, صاحب نية يتحمل أعباء الطلبه. فإذا جاعوا مثلا يبحث لهم عن الأكل ...

- **التنوار:** التنوار من النور و هو مصطلح يطلق على الطالب صاحب الأخلاق الطيبة، الذي يكون متواضعا، صبورا، غير مشوش، يخدم الطلبة و يخدم الشيخ، مسالما لكلّ الناس و بالخصوص كل "الطلبه"، حتى الذين لا يدرسون معه بما في ذلك "الطلبه" الكبار. فهذا الطالب يسمى "طالب منور" أي حاصل على رضا الطلبه و الشيخ. هذا كما يقال يسهل عليه حفظ القرآن الكريم و ربما يكرم بالعلم و ربما بالرزق. ويكون مستقبله آمنا زاهرا

- **التخـوار:** هذا المصطلح نقيض التنوار. و يطلق على الطالب المتكبر، المشوش, الذي لا يلتزم بالنظام العام و لا يقوم بشؤون الطلبه عندما يأتي دوره

فيقال فيه "طالب مخور". و هذا النوع يصعب عليه حفظ القرآن, و حتى لو كان له ذلك فيحفظه بمشقة. إن التخوار مرتبط في العامية بتعاكس اتجاه الرأس و العينين أي أنه نوع من النظر و تدل على التكبر أو عدم الرضا.

– **التسليـــم**: يقال للطالب المتواضع كما رأينا في "الطالب المنور". لا يعوض الإمام أمام الطلبة إلا بإذنهم و لا يلقي موعظة و لا الفاتحة إلا بإذنهم و هكذا. يقبل يد شيخه و يد أو كتف كل "الطلبه" الأكبر سنّا منه

– **المعافـــر**: و يشار بهذا الاسم إلى الطالب الذي لم يحفظ القرآن. و تستعمل الكلمة للدلالة على المصارعة بين الأطفال و يقال في هذه الحالة "المتعافرة" أو "المعافرة ".

– **المهاجـــرة** تشير هذه الكلمة إلى الطلبة المجتهدين الذين يحفظون القرآن في ساعات متأخرة من الليل.

– **القَاعْـــدة** : هذه الكلمة تجمع كل الخصال الحسنة التي ذكرناها حين يلتزم الطالب بها والمتمثلة في حسن الأدب و التواضع و التسليم و البشاشة. تقال في هذا الطالب المتواضع "طالب يعرف القعدة" و عكس ذلك يقال في طالب "ما يعرفش القعدة " ومعناه أنه شخص صعب الطباع. و تستعمل عبارة "إنسان مقعد" للدلالة على شخص رزين و يقال كذلك "إنسان راتب"

– **المراجعـــي**: الكلمة مشتقة من المراجعة. و يشار بها لأحد الطلبة مهمته المراجعة مع زملائه يوميا بعد الغروب أو بعض العشاء خمسة أو عشرة أحزاب.

– **البقـــاش**: يقال "الطالب فلاني بقاش" معناه أنه يكتب للناس الحرز بغاية الخير أو العكس. و هي عبارة عن حسابات في الحروف تستخرج منها كلمة متكونة من حروف أي قش. لكن هذه الطريقة مجهولة عند "الطلبه " اليوم و لم تبق سوى الكلمة التي تدل على الخرفة "الطالب".

<u>من أنت:</u> مصطلح يقال للطالب الضيف لمعرفة إن كان من "الطلبه" أو لا. فإن كان منهم يجيبهم بقوله: "عرق نونتين و أثبت التاء" و هي بداية آية قرآنية " و من

إن تأتمنه..." أما إذا لم يكن طالبا ماهرا يقول أنا فلان أو من بلد كذا و كذا, يعني يتوهم أنه سألوه عن نفسه و بلده لكن هم سألوه عن كيفية كتابة هذه الآية.

### 3 - عملية حفظ القرآن:

تعرف هذه العملية بالحفظ على اللوحة و هي شائعة الاستعمال في بلاد المغرب العربي. إنها طريقة قديمة تختص بها الكتاتيب القرآنية غير أننا لا نستطيع تحديد ظروف ظهورها لكن من المؤكد أنها لم تتغير.

و تتضمّن عملية الحفظ شقين:الأول يختص بحفظ النص القرآنيَ مع كل ما يتعلق به من النطق و طريقة القراءة و الوقف و الحزب و التجزئات الأخرى مثل الثمن و الربع و مواقع السجدة. أما الثاني فيتمثل في حفظ الرسم أي الطريقة التي يكتب بها النص القرآني, و هي عملية تعتمد أولا و قبل كل شيء على الذاكرة.

و نميز في عملية الحفظ جانبين: جانب الوسائل و كيفية استعمالها و جانب سير عملية الحفظ

#### 3 .1 - الوسائل المستعملة.

اللوحة :هي الأداة الأساسية التي تلازم الطالب طيلة المدة التي تستغرقها عملية الحفظ. و هذه المدة غير محددة و هي مرتبطة بسن الطالب و اهتمامه و أخلاقياته.

اللوحة كما يدل الاسم من خشب, شكلها مستطيل، و غالبا ما يكون بها ثقب يوضع فيه خيط يمكن من تعليقها وقد توضع الألواح على الأرض واقفة الواحدة تلوى الأخرى أو يضع كل طالب لوحه في مكان معين من قاعة المسجد الذي يحفظ فيها. فلا يستعمل اللوحة اثنان.

يكتب في اللوحة على الوجهين و تسمى الجهتين، الجهة البالية للوحة و الجهة الجديدة. فالجهة البالية للوحة هي الوجه الذي يكون قد كتب عليه قبل الوجه

الثاني أو الأخير و يهتم الطالب بحفظ هذا الوجه البالي و عند حفظه يمحيه ثم يكتب و بعد ذلك يهتم بالوجه الآخر.

أما الجهة الجديدة فهي وجه اللوحة الذي قد كتبه بعد الوجه الأوّل و هكذا حتى يختم حفظ القرآن ثم يعيد العملية مرة ثانية و يكتب معتمدا على ذاكرته و مستعينا أحيانا بالمصحف و أحيانا بالطلبة الآخرين و. يفعل كما فعل في الختم الأول ثم يعيد العملية مرة ثالثة و يكتبها معتمدا على ذاكرته فقط حتى يحفظ القرآن كله حفظا جيدا, و في مراحل معينة يستعمل ما يسميه الحفظة بختم اللوحة.

و ختم اللوحة عبارة عن "تزويق" اللوحة و هذه العملية تتم بعد ختم عشرة أحزاب. و تعاد العملية عند ختم خمسة عشر حزبا، ثلاثون حزبا و ستون حزبا أي القرآن كله .

<u>الصلصال و الصقل</u>

الصلصال نوع من الطين، لونه رمادي يغمس في الماء فيصبح لزجا فتحك القطعة على اللوحة مشكلة غشاء رقيقا جدا يغطي مساحة اللوحة و يمكن الكتابة عليه. تسمى كل هذه العملية"بصقل اللوحة". و بعد الانتهاء منها, توضع اللوحة في مكان مشمس حتى تجف و بالتالي يمكن الكتابة عليها.

<u>القلم</u>

يستعمل القلم في الكتابة، يصنع من شق قطعة من القصب و يشبه رأسه رأس الريشة.

<u>"الدواية" و الودح</u>

الدواية و أصل الكلمة الدّواة و هي الأداة التي يوضع فيها الحبر و لكن عند الطلبه هي الحبر الذي يصنع من الودح لكتابة اللوحة. و الودح هو صوف بطن الشاة تحرق ثم يتم خلطها بشيء من الماء فتصبح "سماق".

و الودح كلمة مستعملة في تجارة الصوف و تدل على الصوف التي تباع كما هي بمعنى أنها لم تغسل, تسمى كذلك بالصوف "الودحية" و هي أقل سعرا من

الصوف المغسولة ذلك أنه لا يمكن استعمالها إلا بعد غسلها فتفقد بعده ما بين خمسين و ستين بالمائة من وزنها الأولي, و هذه النسبة مرتبطة بأصل الصوف أي الناحية التي استقدمت منها و كذلك صدق التاجر أو التجار الذين تداولوا هذه الصوف. فكل الأوساخ و التراب الذي يقع منها حين تغسل تسميه النساء "ودحا".

**التباع**

هو العود, قدره شبر, مصفح في الرأس على شكل ممحاة ,يستعمل لتتبع القراءة. و أثناء القراءة المتكررة يركز به الطالب على الكلمة الصعبة مستعملا الحك أحيانا حتى تمحى تلك الكلمة.

## 2.3- كيفية الكتابة

**التسطار**

هي عملية تتم قبل البدء في الكتابة، فبعد غسل اللوحة و طلائها بالصلصال و تجفيفها, يجعل الطالب خطوطا أو كما يقال "يسطرها" لكتابتها و بالتالي ليكون الخط مستقيما. هناك مثل متداول في الأوساط الشعبية خاصة الريفية يظهر المهارات لفئات يتعلق وجودها بالنشاط الاقتصادي الريفي أو البدوي، هذا المثل يعرفه "الطلبه" ذلك لأنهم مذكورون فيه و يقول "الراعي خفيف في التسفار و الفلاح حفيف في التمطار و الطالب خفيف في التسطار" و الخفة تدل في هذا المثل على المهارة.

**الكتابة و السلاكة**

يكتب الطالب على اللوحة ثمن الحزب أو ربعه أو نصفه على حسب ما تستوعب ذاكرته. و تكون الكتابة من المصحف ثم يصححها أيضا من المصحف، ثم تصحيح ثاني من طرف "الطلبه" الآخرين من الذين يحفظون ما كتبه على لوحته ثم تصحيح أخير يقوم به الشيخ الذي يلتمس منه بعض النصائح مع رضاه.

السلاكة كلمة تقال عن تصحيح اللوحة من طرف الشيخ بعد كتابتها كما أسلفنا. فقول "يسلك اللوحة" أي يصححها من أخطاء محتملة و يقبل الطالب يد الشيخ عند تسليمه إياها قبل السلاكة و كذلك بعدها. و عند الانتهاء من التصحيح الطالب يقرأ اللوحة بمعية الآخرين قصد حفظها و تصحيحها مرة أخرى من الخطأ في النطق.

بعد يوما أو يومين أو ثلاث و هي المدة التي يستغرقها حفظ ما كتب في اللوحة يستظهر ما حفظه الطالب أمام الشيخ حتى يتأكد من أنه حفظها.

**المحي و المحوى**

المحي يكون بعد حفظ ما كتب على اللوحة و معناه أنه تغسل بالماء ثم تطلى بالصلصال ثم تعرّض هذه اللوحة على الشمس لتجفيفها و بعدها تسطر كما ذكرنا من قبل. أما المحوى فهو المكان الذي تمحى فيه الألواح و يكون فيه ماء.

**الخنشة**

تدل الكلمة على الكيس الذي يجمع فيه الطالب "الدواية" و الكتب التي يعتمد عليها عندما يستدعى لمعالجة مريض أو أمر آخر يطلب فيه تدخله.

### 3.3- الحفظ

يسير الحفظ على مراحل و يراعى فيه ترتيب الآيات و الأحزاب و قد يبدأ الحفظ من سورة البقرة إلى آخر سورة و هي الإخلاص و قد يكون في الاتجاه المعاكس. ونجد في هذه العملية استعمال كلمات خاصة.:

- **الختم** تقال لمن يكمل حزبا واحدا سواء كان الأول أو الذي يليه حتى آخر حزب أي كلما انتهى من حفظ حزب يقال "ختم".
- **ختم السلكة** تقال لمن أكمل أو ختم ستين حزبا سواء حفظها أم لم يحفظها والسلكة تدل على ستين حزبا حفظا أو قراءة.
- **التسريح** هو ختم القرآن الكريم كله و حفظه حفظا جيدا. نقول فلان "أتسرح" أو "سرحه الشيخ" أي أعطاه الشيخ رخصة الذهاب و رضي عليه لكن بدون أن تجرى له اختبارات و إنما يكون معروفا لدى الشيخ و "الطلبه". أما إذا لم يحفظ القرآن جيدا فضميره لا يسمح له بذلك لأنه هو المعني الأول و هو الضحية.
- **حط اللوحة** تقال لمن "سرح" فنقول فلان حط اللوحة أي وضع اللوحة أو انتهى من الحفظ.

## 4 - ألفاظ مستعملة بين "الطلبه"

يستعمل الطلبة إشارات سرية سواء بالنطق أو الوقف عند بعض الكلمات للكناية على معاني أخرى. و هذه الطريقة تستعمل كلغة خاصة بهم يتعذر فهمها على من

لم يحفظ القرآن على الطريقة التي وصفناها و نورد في هذا الصدد بعض الأمثلة على ذلك:

**لباس:** كناية عن الجوع حين تقف على لباس أي "راني جائع".

**بخس:** كناية عن الدراهم.

**ضعف:** كناية عن الطالب، تقول هذا ضعف معناه "طالبا".

**قواعد:** كناية عن النساء

**فاقع:** لونها كناية عن المرأة الجميلة.

**يسألونك:** كناية عن الخمر.

**وهي:** كناية عن التدخين.

**أتأتون:** كناية عن الرجال.

**قبان:** كناية عن الشخص الذي ليس "طالبا" بل شخصا عاديا.

**تتجاف:** كناية عن الموت أو الجنازة.

**ربع مولاي عبد القادر**" و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو...": عندما يقل الأكل فيجوع الطلبة في هذه الحال يلتجئون إلى قراءة هذا الربع ثم يدعون الله تعالى فيستجيب لهم ويسخّر لهم من يأتيهم بالطعام.

**<u>فج الكتاب</u>**

يعبر عنه في الأوساط الشعبية بعبارة "يحل الكتاب" و هو لجوء الطالب لأدبيات أو كتب خاصة بعملية الكهنة أو تحضير بعض المستخلصات. و قد ذكرنا في هذا الصدد "الهارونية في تركيب الأدوية" و كتاب "الرحمة " للشيخ السيوطي وكتاب "الزناتي في الرمل" و "مجربات الدباري" كما يتداول بينهم بعض العناوين، و أسماء المؤلفين تدل على اطلاع المتكلم عليها في ما يسمونه "علم السحر" نذكر منها "الهياكل السبعة" و "حصن الحصين" و "المواق الشهير" و "حجاب الأمام" و "الرموز" و "مجموعة الحساب" و من الكتاب: ابن الحاج الكبير و ابن عطاء الله و القلاعي و الخزرجي.

إن النصوص المتداولة غالبا ما تكون مستنسخة يدويا أو على شكل أجزاء في أوراق متفرقة. قد أخبرني الطالب الذي زودني بهذه المعلومات أن هذه العناوين تنشر خاصة في تونس.

من الأفكار السائدة عن الطلبة أنهم أناس يحبون الأكل الكثير و لذا لا يتأخرون عن دعوة لوليمة ما خاصة إن كان صاحبها ميسور الحال.

يتمتع "الطلبة " المغاربة – أي من المغرب الأقصى – في تلمسان وضواحيها بشهرة مؤكدة, ذلك أن العديد من الحكايات تمنح لهم فيها بخوارق و قدرات عجيبة مثل القدرة على تجميد الماء, تحريك الأشياء, تخديم الجن أو كما يقال "يخدم سبعة أرياح كل ريح على إتقان الحروف". في حديث عن طالب ( يقطن بحي شتوان في الضاحية الشرقية لمدينة تلمسان) مع أحد الأشخاص ممن يعرفونه أكد لي أن هذا الطالب يقوم بزيارة سنوية للمغرب حتى يحتك و ينهل من علم غزير و فعال في هذا البلد. و الفكرة ليست جديدة, فالمغرب و خاصة مدينة فاس كانت لها دائما سمعة خاصة فيما يتعلق بعدد و نوعية "الطلبه" السحرة و المداوين بها, وهذا ما يذهب إليه أ.حميدو:" الطلبة المغاربة كلهم من السوسيين, يعتبرهم مسلمو تلمسان أطباء مهرة و لذا فالطلب عليهم قوي و ذلك بهدف الاعتناء بالمرضى خاصة المصابين بأمراض عصبية والذين يسمونهم المملوكين- جمع مملوك – و يعتبر "الفقيه" المغربي من جهة أخرى كاشفا للكنوز وصانع طلاسم و "حروز" بمقدرتها التغلب على لا مبالاة الحبيبة "[1]

[1] Hamidou. A aperçu sur la poésie vulgaire de Tlemcen in soc.sav.af.n(act III) tome 2 bis,1936 .p 1401 cité par M.Y.Chaouch op cit p 162

## الجزء الثالث : النسق العلاجي في المداواة عند "الطَّالب"

### 1 – الطالــب المداوي

نسمع كثيرا عن أناس أصابهم الموت بصفة غريبة و خاصة أولئك الذين تصيبهم أمراض نفسية لا يجدون لها تفسيرا طبيا مقنعا أي سببية عقلانية. يعتمد كثير من الأطباء في محاولتهم تفسير الأمراض لزبائنهم يعتمدون على مرادفات من المنطوق الشعبي, على سبيل المثال في مدينة تلمسان أخصائي في أمراض المعدة يقول لمرضاه خاصة بعد كشف لا يظهر آثارا مرئية على المعدة أنهم مصابون بمرض "عرق بومزوي", و هذا الداء علاجه يكمن في كي الشخص في جهات معينة من الجسم. يعتبر هذا الكي "حكمة" أي القدرة على فعل شيء في حوزة شخص, رجل أو امرأة أو أفراد عائلة بكاملها ولا تقتصر العملية على مرض واحد. كانت في مدينة الحنايا(حتى سنة 2001 ) امرأة تحترف الخياطة في البداية ثم انتقلت بعد ذلك إلى الكي على مرض "عرق بومزوي". و هذه الطريقة أو الحكمة خاصية علاجية تنتشر عبر الفضاء الثقافي المغاربي.

أما بالنسبة لمرض "بوصفار" فنجد في نفس المدينة عائلة أفرادها يشتهرون عبر كافة أرجاء الولاية بنجاعة الكي[1] و تحكمهم في هذه الطريقة لعلاج مرض "بوصفار".

المرض هو كذلك تأثير على الروابط الاجتماعية، و الخروج من الوظائف والنشاطات التي تدخل في وعي الفرد. فالمسحور أو المسكون أو المصروع أو "المسبوب" ينحني أمام القوة المزدوجة للخوف الكبير الذي يحس به و الخروج التام عن مختلف الأنساق المعطاة له باتفاق الجماعة. فهو ينتقل من فاعل ذي حقوق وواجبات إلى فرد موضوع مخاوف و طقوس و تحاش و بالتالي فإن

[1] الكي تتمثل هذه الطريقة في إشعال عيدان من القصب ثم إطفائها و وضعها على الجلد.

الحرمة الجسدية للمريض لا تقاوم انحلال شخصيته الاجتماعية. فالمريض يشتكي ولكن لا تظهر عليه أعراض واضحة تمكن من تشخيص.

و انطلاقا من هنا يجب أن لا نشك في نجاعة بعض الممارسات السحرية لأن نجاح هذه العمليات يستلزم الاعتقاد في السحر و المتميز بثلاث خصوصيات: أولا اعتقاد "الطالب" في نجاعة تقنياته, ثانيا اعتقاد المريض أو الضحية التي يلاحقها المرض في قوى "الطالب" نفسه و أخيرا الاطمئنان ومتطلبات الوعي العام اللذان يشكلان حقلا تتموقع و تتجلى فيه العلاقات بين "الطالب" و الذين يعالجهم[1].
عندما يعتقد الطالب استخراج المرض أو الأذى عن طريق "الامتصاص" من جسم المريض أي على شكل شيء مرئي يفسر الحالة المضطربة يجب إظهاره كأداة سحرية فإنه يبرر هذا الإجراء في ذهنه.
إن الممارسة السحرية ظاهرة إجماع, و لكن الاعتقاد لا يكفي حتى يتأسس هذا الإجماع و لذلك يجب أن يخضع للتجربة حتى يتجاوز الانتقاد و بالتالي يمكننا أن نتساءل عن نسبتي الاعتقاد و النقد اللتين تتدخلان في تصرف الجماعة اتجاه هؤلاء الذين يعترف لهم بملكات خارقة، و الذين يمنحهم امتيازات مناسبة و لكن موازاة مع ذلك يفرض عليهم تحقيق طلبات ؟

من الملاحظ أن "الطالب" و الأشخاص ذو الخوارق يحصلون على هذه القوى بين عشية و ضحاها يبدأ الإلهام بزواية قصص و أحلام يعتمدونها لتبيان الظروف التي حصلوا فيها على هذه الملكات.

أن وجود علاقات حميمة بين "الطالب" و القوى الخفية أمر أكيد في المعتقد الشعبي و لكن "الطالب" يقوم بأفعال دنيوية أو مدنسة بواسطة هذه القوى, فهذا مجال وجهة النظر المؤسسة على الاحتمالات و هذا ما يشبه ما ذهب إليه لفي ستروس في دراسة ظاهرة"الشمان" chaman و المداواة عند قبائل الإسكيمو حين

---

[1] يبدو الموضوع نفسانيا أكثر منه سسيولوجيا, مثل هذا يتطلب ضوابط علم اجتماع الدين لتفريق بين مختلف إجراءات العملية السحرية و مختلف أنماط السحر.

يلاحظ أنه " يمكن لوعي الفرد أن يقبل بتعايش التفسيرين, فلا يتطرق لهذه التعليلات المتفرقة مهما كان أصلها العلمي في تحليل موضوعي و لكن كمعطيات متكاملة، تتطلبها مواقف غامضة جدا و غير منسجمة، و لها صبغة تجربة "[1].

يعتبر المجتمع السحر جريمة كبيرة ويتخوف من شخصه و لكن "الطالب" الساحر لا ينفي جريمته و لكنه يظهرها جلية . فمنهم في مدينة الحنايا مثلا من خصص في بيته قاعة انتظار مهيأة على منوال مكاتب الأطباء, وأكثر من ذلك فهو يشهر وضعيته بإعطاء تفاصيل دقيقة.

لا يطلب الناس من "الطالب" الساحر أن ينفي ما ينسب إليه ولكن تأكيد نسق لا يملكون منه إلا عنصرا. فعليه مثلا أن يثبت قوة عقدة [2] أو حكمة [3] اكتسبها من أحد أسلافه بإظهار شيء كحجرة أو ريشة أو شعر.

و عليه يفلت السحر و الأفكار المتعلقة به, من الصيغة الصعبة التي يتواجد عليها في الوعي كمجموعة متفرقة من الأحاسيس و التمثلات و التي يعبر عنها بصفة غامضة حتى تبدو موضوعا للتجربة .

لا تكون زيارة "الطالب" انفرادية, يصطحب الزائرَ أو المريضَ أهلُـه أو أشخاص يثق بهم و بهذا يمكننا اعتبار هؤلاء شهودا سينشرون الأسطورة أو شهود عيان في صف "الطلبه" حين نتطرق للحديث عنهم في مجالس مختلفة. فحين يظهر "الطالب" الشيء المستخرج أمام الشهود, يعي الحاضرون الميزة الحية التي يعرضها على المراقبة. فهنا لا يكون الاختيار بين نسق وآخر و لكن بين النسق السحري من جهة ولا نسق بمعنى آخر التيهان من جهة أخرى.

---

[1] Claude Lévi Strauss .Anthropologie structurale .ed Plon .Paris 1958 .p188

[2] عقدة بفتح العين يراد بها في المنطوق العامي تحضير عجين معين بمزج عناصر نباتية متعددة

[3] الحكمة تشير الكلمة إلى كل مهارة أو استعداد طبيعي لمداواة مرض معين بطريقة معينة. أصلها من حكم أي تصرف في إدارة مرض معين.

إن "الطالب" يتحول من خطر على الأمن الجسدي لمحيطه إلى ضامن الانسجام العقائدي. انسجام النسق و الدور المنوط به في قيام هذا النسق, فقيمته لا تقل أهمية عن أمنه و ما يخاطر به في هذه المغامرة مع العالم الغيبي الذي لا يقتحمه سواه.

و مما شاع نرى "الطالب" يبني تدريجيا الشخص (الدور) الذي يفـرَضُ عليه فيخلط شيئا من الحيلة بشيء من حسن النية حيث يأخذ من تجاربه الشخصية جزءا و لكن بالخصوص يعيش دوره فيبحث في الأفعال التي يقوم بها و الطقوس التي يبنيها قطعة تجربة مَهَمَةٍ ذات الاحتمال المرئي لدى الجميع, يظهر على وجهه اقتناع لفترات ناتج عن القبضة التي يفرضها على جمهوره كأن يشفى المريض بطريقة ما وهذا كتجربة معاشه في ظرف امتحان استثنائي منظم. فيكفي كل هذا كاف و لا داعي لمزيد لأن تكون القوى الخارقة و المعترف بها لدى الجماعة معترفا بها كذلك من طرف مالكها.

إن تقنية "الطالب" مزيجا من عبارات سحرية "كالحريقات و القرايات" ترافقها حركات جسدية لتمثيل أزمة عصبية نفسية كارتعاش الجسم و اهتزاز الرأس ومهارة في تحريك الأشياء (إظهارها أو إخفاءها أو تحويلها) من مواقعها كتجميد الماء وتطاير الرمل و اهتزاز المائدة... و معارف إمبريقية و بسيطة في الفحص الطبي و ما يتعلق بفزيولوجيا الإنسان و استعمال مخبرين عن الزبائن (الحالة العائلية، العلاقات داخلها، الحالة المرضية)[1]. و العنصر الأساسي هو استعمال شيء (حجرة حصى , شعر، ريشة صغيرة) يخفيه "الطالب" في فمه أو في مكان أخر ليخرجه في الوقت المناسب ممزوجا بالدم بعد العض على لسانه أو امتصاص اللثة فيشهره للمريض و مصطحبيه كجسم مرضي.

[1] أخبرني زميل عمل عن "طالب" في عين الطلبة(التطابق من باب الصدفة) له طريقة خاصة. كان "الطالب" بعد الإنصات للزائر يشير إلى عونه بالذهاب للبحث عن نبتة في الضواحي فيأخذ العون دائما سائق السيارة التي أتى فيها المريض و في الطريق يستقي من السائق عددا كبيرا من المعلومات عن المريض يبلغها للطالب والذي يذكرها بدوره للمريض.

و حسب الشاهد نفسه يأتي المريض للزيارة بعد رؤية "الطالب" و اقترانه بخلاصة في المنام و بهذا يكون العلاج مجديا و يرد هذا لأسباب سيكولوجية و لا يحدد "الطلبه" مبلغا معينا فيقبل ثم يضع ما حصل عليه تحت الفراش الذي يجلس عليه بدون حساب المبلغ و أن ما يقبضونه ما هو إلا للبركة و ليس أجرا و لكن هذا لا يمنع من أن عملية الحساب تكون بعد خروج المريض.

و من "الطلبه" من يكتفي بنفث البزاق معتقدين أنه يحوي المرض, و البزاق في اليد من التقنيات التي تمكن من إيصال أو توريث "حكمة" مهارة من شخص لآخر. و تعتمد هذه الطريقة على الاعتقاد في امكانية التقاط المرض أو "الضر"، فالطريقة الأولى تظهر شيئا ملموسا مرئيا و لكن الثانية غير ذلك. و هذا ما يدفع المريض و أهله لزيارة عدة "طلبه" يقدمون نسقين مختلفين من المعالجة و مع ذلك يبقى التشابه مع المداواة عند الشمان كما حللها لفي ستروس قائما حيث يلاحظ أن ثمة " نسقين نعرف أنهما غير متناسبان و رغم ذلك يقدمان في نفس الوقت قيمة فرقية من الوجهة المنطقية و من الوجهة التجريبية. بالنسبة لأي نسق مرجعي سنحكم عليهما ؟ نسق الوقائع و الذي يختلطان فيه، أو نسقيهما اللذان يأخذان فيهما قيما متفاوتة نظريا وتطبيقيا فيولدان الحيرة و الشك في التفكير النقدي. فالأول ينتج على شكل شيء يجسم المرض أو الداء فيطبعه بصبغة روحية يفكر الصنف الثاني في إظهارها. كل مرض عبارة عن روح, فعندما يلتقط فهو عبارة عن كائن حي إذ يموت المرض فيختفي جسده من أحشائنا كما يزعم بعضهم. "[1]

إن نفسية "الطالب" الساحر ليست بسيطة و خاصة العامل بالتقنية الثانية التي تمتاز بمعطيين: فمن جهة اليقين بأن الأحوال المرضية لها سبب و هذا السبب يمكن الوصول إليه، ومن جهة أخرى نسق من التأويلات حيث يلعب الإبداع الشخصي دورا كبيرا فينظم مراحل المرض ابتداء من التشخيــص حتى الشفاء.

[1]Claude Levi Strauss ibid p 194

تعتمد هذه الحكمة المستقاة من واقع مجهول، و المتكونة من إجراءات و تمثلات على ثلاث تجارب:

1- تجربة "الطالب" الساحر نفسه إذا كان يعتقد أن موْهبته حقيقية, أو أنه يحس بحالات خاصة من طبيعة نفسانية فيفعل الممارسة.

2- تجربة المريض الذي يحس بتحسن.

3- تجربة الجمهور الذي يشارك أيضا في المداواة، إذ يحدد الارتياح الفكري و الشعوري الذي يناله انخراطا جماعيا تفتتح به حلقة جديدة.

يمكننا الفصل بين ثلاثة عناصر و التي تكون المركب السحري لدى "الطالب" منظمتا حول قطبين: يمثل الأول التجربة الذاتية "للطالب" و يمثل الثاني الاتفاق الجماعي أو الإجماع.

تكون دراسة العلاقات مع العالم الخفي بواسطة الأشكال المعرفية و من بينها الانطباع الجسدي بالأحاسيس (بمعنى آخر تجربة سريعة لا تعتمد على براهين). يضحى الشخص "طالب" أو "درويش" أو "بودالي" نتيجة أزمة ذهنية، و تعتبر هذه الحالة كنتيجة يرجع سببها لتجربة عاشها، أو حصول على قيادة روح و منها يستنتج أنه قام برحلة في الأعلى أو زارته كائنات عُلــْويَة.

إن تجارب المريض ذات أهمية أقل في النسق إذا ما استثنينا أن مريضا يعالج بنجاح من طرف "طالب" أكثر قابلية ليكون "طالبا" ساحرا بدوره. ومهما يكن من أمر فإن "الطالب" له معارف وضعية و تقنية تجريبية و التي تكون سر نجاحه مثله مثل "الشمان" و الذي يقول فيه لفي ستروس أنه " بالنسبة للاختلالات التي تسمى اليوم سيكوسوماتية، و التي تمثل قسما كبيرا من الأمراض في المجتمعات ذات معامل آمان ضعيف، تدلل أمام معالجة سيكولوجية. فبصفة عامة يبدو أن الأطباء البدائيين كزملائهم المعاصرين ينجحون على الأقل في بعض الحالات التي يعالجونها. وبدون هذه النجاعة النسبية، لم يكن لهذه الممارسات السحرية أن

تعرف هذا الانتشار الكبير الذي يميزها في الزمن و المكان" [1] فالطالب يصبح ساحرا كبيرا لا لأنه يشفي المرضى، بل يشفي المرض لأنه أصبح ساحرا كبيرا. فهنا نتجه إلى جهة أخرى من النسق وهو القطب الجماعي. إذا فالمسألة الأساسية هي العلاقة بين الفرد و الجماعة أو بشكل دقيق بين نوع من الأفراد و بعض متطلبات الجماعة

يقدم الطالب في معالجة المريض فرجة أو عرضا. فبدون الطموح إلى تعميم و انطلاقا من بعض الملاحظات نستطيع القول بأن هذا العرض أو الدراما عبارة عن تكرار للأزمة الأولية التي أكتسب وقتها ملكاته الخارقة. لكن لا يكتفي"الطالب" بإعادة التعبير عن بعض الأحداث، إنه يعيشها في كل حيويتها و عنفها و في نهاية الحصة يعود إلى حالته الطبيعية و نعرف أن "التحليل النفسي يسمى هذه اللحظة التقريرية من المعالجة Abreaction يعيش فيها المريض و بشدة الوضعية الأولى التي هي أصل العلة قبل أن يتخطاها نهائيا.

يجب كذلك على الجمهور مثله مثل "الطالب" و المريض المشاركة بقدر معين في هذه الوضعية. تنتشر في محيط هذه التجربة المعاشة رمزية بحيث لا يمكن للمريض و "الطالب" إدراجها في إطار آخر, فتجلب هذه التجربة, في غياب مراقبة تجريبية لأنها غير ضرورية و لا مطلوبة، بمفردها الانخراط في هذا النوع من المعالجة.

مخالفا للتفسير العلمي، الأمر ليس ربط أحوال غامضة و غير منتظمة، أحاسيس, تمثلات بسبب موضوعي و لكن ترتيبها على شكل نسق أو كل. فالنسق " كما يقول لفي ستروس تكمن قيمته في السماح بتصارع أو تلاحم هذه الحالات المنتشرة، العائمة( صعبة كذلك بسبب تقطعاتها) بفضل اضطراباتهما المتكاملة[1] ". فالزوج المكون من "الطالب" و المريض يمثل للجماعة بصفة ملموسة و حية، لكن

---
[1] Claude Levi Strauss ibid p 197
[1] C.L.Strauss ibid p 198

يبقى التعبير العادي عنه غامض و غير دقيق. فالمريض ركون و ارتهان للذات، و "الطالب" حركة و تجاوز للذات شبيها "بالشمان" و مريضه ذلك لأنه كما يقول لفي ستروس " فالأحاسيس تغدي الرموز. تقيم المعالجة علاقة بين هذين القطبين المتناظرين يمكن المرور بينهما و يظهر انسجام المحيط النفساني الذي هو في حد ذاته مرآة للمحيط الاجتماعي"[2]. يتكلم "الطالب" في المعالجة مثله مثل "الشمان" والمريض يسكت.

يعيد السحر تلاؤم الجماعة مع مشاكل محددة سلفا عن طريق المريض. يوفر للجماعة إحساس بالأمن عن طريق أسطورة "الطالب" و النسق الشعبي الذي على أساسه يعيد بناء محيطه. يشكل "الطالب" و المريض زوجا متضامنا يدعم كل واحد الآخر.

تبدأ الحصة برسم لوحة متشائمة للمريض مع تحضير خاص: البخور، ذكر و نسج صورة مقدسة، لأن هذه الصور تعطي الفعالية. تمثل الأرواح التي يجعل منها "الطالب" أعوانا يكون بواسطة أسماء و خصوصيات يميزها بها. يعلو شأن "الطالب" إذا عرف عنه أنه " يُخَدِم الجن" أي يتحكم فيهم و أوامره مسموعة لديهم, و في هذه الحالة تعتبر المعالجة عبارة عن دورة أو مبارزة بين "الطالب" والجن. يطرح "الطالب" أسئلة يجيب عنها المريض بنعم أو لا, و تحوي هذه التساؤلات في حد ذاتها التفسيرات و "الطالب" هو الذي يقترحها.

و غالبا ما تكون الإجابات سلبية في البداية فتدفع "الطالب" إلى التصعيد و التوعد بعقوبات أدناها النفي و أقصاها الحرق و يقوي دخان التبخيرة "الطالب" و يعطيه الشجاعة لمبارزة الجن, و تكمن القوة الأساسية "للطالب" في المعرفة التي يمتلكها فيحصل في النهاية على الغلبة مقابل بعض التنازلات لفائدة الكائن الذي بداخل المريض. و تكون هذه التنازلات عبارة عن احتياطات يجب على المريض الالتزام بها فتصبح على إثرها العلاقة بين "الطالب" و الجن علاقة سيد بخادمه. "فالطالب"

[2] C.L.Strauss ibid p 199

يقترح في الأول أسئلة على شكل أجوبة للمريض و في الأخير يقترح على المريض مجموعة من الاحتياطات يجب الالتزام بها. كما يطلب الجن ( باقتراح من "الطالب" دائما ) شيئا حاويا أي أن الجن في حاجة إلى وعاء يكون مسكنا له عوضا عن جسم المريض.

ينقسم الطلبة إلى ثلاثة أصناف هامة: "الطالب الحكيم"، و "الطالب ألي ينحي" بمعنى ينزع أو يبطل الأعمال السحرية و "الطالب ألي يدير" بمعنى يقيم الأعمال السحرية . و يعتبر الصنفان الأوليان إيجابيان و يمكن نعتهما " بالسحر الأبيض"، أما الصنف الثالث سلبي و يمكن تسميته السحر الأسود. فالأولان يصلحان ما أفسد الثالث و هذا الأخير يخل بالتوازن الجسدي والنفساني و بالتالي الاجتماعي للفرد .

إن مهارة "الطلبة" تبدو و كأنها فطرية و تتمثل في رؤية تكشف في الحين عن أسباب المرض بمعنى آخر مكان اختطاف القوة الحية من طرف الأرواح الشريرة أو المؤدية. "فالطالب" يمكنه تجنيدها حتى يجعل منها خدما.

إن المريض يقاسي لأنه فقد قرينه الروحي و"الطالب" بمساعدة خدمه يشرع في سفر في عالم الخوارق حتى ينتزع هذا القرين من الماكر الذي استحوذ عليه وإعادته إلى صاحبه ضامنا بذلك الشفاء.

العظام، الأسنان، الشعر، الأظافر، الرجل... لها هذه القوة. و يضع "الطالب" يده على الجزء الذي يشتكي منه المريض أو يظن أنه به أذى. فالعين مثلا تعتبر كعنصر فعال في الاضطرابات و كروح خاصة تستحوذ على الأرواح الأخرى الخاصة، و بذلك تعطل مشاركة هذه الأرواح التي تضمن الانسجام والحرمة الجسدية.

و حسب الشاهد نفسه يمكننا القول أن المداواة عند "الطالب" تنقسم إلى ثلاثة أنواع: إما أن يكون العضو أو الطرف المريض موضوع تحريك أو امتصاص فذلك تكون المداواة استخراج سبب المرض، و يكون عامة شوكة أو ريشة أو شعرا أو حجرة لإظهاره في الوقت المناسب، أو تكون المداواة تمثيلا لصراع ضد

الأرواح الشريرة و إما أن يقرأ "الطالب" نصا أو يطلب القيام بعمليات مثل الوشم، أو يكتب حرزا يعلقه المريض على عنقه أو في مكان معين أو إغماسه في الماء فيذوب المداد و يصبح شرابا و تسمى هذه العملية "النشرة".

يكون تأويل الطريقة العلاجية في كل هذه الحالات صعبا: عندما تتعلق بتحريك مباشر للجزء المريض تكون لعبة واحتيالا حتى نعترف لها بقيمة، و عندما تتمثل في تكرار طقوس فهنا يطغى عليها جانب معنوي لا نصل إلى فهم تأثيره على المرض و لكن يمكننا أن نتخلص من هذه الصعوبة إذا قلنا أنها عبارة عن معالجة نفسانية.

تبدأ المعالجة بسرد الأحداث التي سبقت، و بعض المعطيات التي يمكن اعتبارها ثانوية تحظى بتفاصيل كثيرة و هذه التقنية لها قيمة ارتدادية Retrospective . كل شيء يجري كأن "الطالب" يحاول جلب المريض ذي الانتباه الضعيف بالنسبة للواقع و نرى في ذلك نقطة تماثل مع الخطاب السياسي حيث يرسم الخطيب لوحة متشائمة عن ماض مظلم وحاضر متعب ليرسم لوحة جميلة فيعد جمهوره بغد مشرق.

عندما يظهر جن أو روحاني فهو موضوع لوصف مركز مع تجهيز سحري يعطيه له "الطالب" بتفاصيل مطولة: ألوان مختلفة، سمات جسدية( لحية مثلا)، حيوانات مصاحبة، ثم يعاود التجنيد و كأن هذه الضمانات لا زالت غير كافية وجميع قوى المريض يجب أن تجمع للهجوم.

يتعلق الأمر إذا ببناء نسق ليس فقط ضد تحرشات أو اعتداءات الأرواح بفضل طرق دقيقة و مغلقة ésotérique : لا تتأكد الفعالية إذا لم يقدم للمريض حل العقدة قبيل انتظار النتائج. إذا كانت أسطورة "الطالب" لا تلائم حقيقة موضوعية فهذا ليس مهما لأن المريض عضو في مجتمع يعتقد فيها: أرواح خيرة ومساعدة و أرواح شريرة و معادية، أشباح و كائنات خارقة و حيوانات سحرية جزء من نسق متجانس يؤسس النظرة الجماعية للكون يقبلها المريض و لا يشك فيها. غير

أن الذي لا يقبله هو الآلام و التي تكون عنصرا خارجيا عن نسقه, و لكن بالالتجاء إلى "الطالب" يوضع المريض في مجموعة متماسكة العناصر.

لا يستسلم المريض بل يشفى. إن العلاقة بين الجن، الروحاني, الممنين، دوك الناس الخ علاقة داخلية في فكر المريض،: هي علاقة رمز بشيء مرموز. يعطي "فالطالب" المريض لغة تمكنه من التعبير المباشر عن أحوال يستحيل التعبير عنها بصفة مغايرة.

يحاول " الطالب" إثارة تجربة، تنتظم عن طريق مكنزمات موضوعية خارج مراقبة الفاعل فتنضبط تلقائيا لتؤدي إلى سير منتظم. و يقوم "الطالب" بدور مزدوج فهو المتلقي و المتحدث قصد إرصاء علاقة مع وعي المريض. و يتعدى خطاب "الطالب" هذا الدور: فهو البطل مادام هو الذي يدخل في الجسم المهدد بوساطة أو بدونها ليحرر الروح المسجونة فيصبح الطرف الأساسي في الصراع.

و لا يكتفي الطالب بخطاب يتكلم فيه عن طريق رموز, بل يقوم بحركات أو أفعال ملموسة قد تكون متقطعة و لكنها ذات قيمة أو شحنة رمزية تكون بذلك لغة, و بموجبها نعتبر المعالجة عند "الطالب" شبيهة بالتي عند "الشمان" و التي يعتبرها لفي ستروس " نوعا من التحريك Manipulation . فهي تارة تحريك للأفكار و تارة للأعضاء و لكن عن طريق رموز و بها يكف اللاشعور عن كونه هذا الملجأ من الخصوصيات الفردية، مخزن قصة فريدة و التي تجعل من كل واحد منا فردا لا يعوض فيصير بموجبها عبارة عن وظيفة: الوظيفة الرمزية، خاصية بشرية بدون شك و لكنها تشتغل عند كل البشر حسب نفس القوانين" [1]

[1] C. L.Strauss ibid p 224

# الجزء الرابع: دور الطالب في النسق العائلي

## مقدمة

لقد حاولت طيلة الفصول السابقة أن أرسم الملامح العريضة للوسط السحري الذي يعمل فيه "الطالب" و يعطيه تلك المصداقية الكبيرة التي يتمتع بها.والمتمثل في جملة من الأفكار و المعتقدات و الممارسات السحرية. و ما استنتجته هو وجود خلفية جنسية لنشاط "الطالب". ومن ثمة يجب إبراز هذه الخلفية و ربطها بهذه الظاهرة الثقافية -" الطالب"- فنحن إذاً أمام معطى بيولوجي يجب اعتباره في إطار ثقافي. أنثروبولوجي ولهذا اعتبرت الإطار النظري الأمثل في هذه الدراسة ما وفرته الأنثروبولوجية البنيوية.

إن الرّوايات[1] التي انطلقنا منها ذات طابع أسطوري تقدم ميزات مشتركة نسميها ثوابت تكمن في تكرار المواضيع التالية:

1 تكون الإصابة نتيجة عمل عدواني.

2 يرتبط العمل العدواني – السّحري- بالحياة الجنسية :زواج، إنجاب...

3 يكون المعتدي من الأقارب فتتميز علاقات القرابة بالصراع.

4 الطالب" وسيط مع العالم السّحري و يستمد نوع من القداسة من القرآن الذي يحفظه.

### 1 – الترتيبات الاجتماعية

يظهر الجنس و المجتمع من الوهلة الأولى من نظامين مختلفين. و تبين دراسة واقع أنثروبولوجي ، أن هذين القياسيين للواقع البشري، الجنسي و الاجتماعي يظهران في حالة تداخل و تراكب. و من الثوابت أن المجتمعات لها بنية إجرائية شبيهة ( منع زنا المحارم، الزواج، التربية، استبدال) و لكن بصيغ مختلفة لترتيب

---

[1] انظر المدونة في الملحق ص 145

العملية الجنسية، كما يمكن تجاوز هذه الترتيبات عن طريق بعض الإلتواءات أو الانحرافات. تستحوذ على الجنس مشروعية من كل نوع – اجتماعية دينية، أخلاقية، قانونية– و لعل أول منظم اجتماعي جنسي هو منع زنا المحارم بمعنى آخر "علاقات جنسية مع قريبات من نفس الدّم أو نفس الطبقة تظهر كنقطة التقاء للجنس و المجتمع."[2] و يرى هنا لفي ستروس اللّحظة الحاسمة في المرور من الطبيعة إلى الثقافة و محور لحركة ضرورية لتبادل النساء و التي ينتظم بفضلها نسق المصاهرة و القرابة بمعنى آخر الحقل الاجتماعي.

## 2- العوائق الاجتماعية

موازاة مع منع زنا المحارم, يستحيل الزواج لاعتبارات اجتماعية أخرى تتم عن ذهنية و تعبر عن بنية اجتماعية, و من خصوصيتها تواجد نوعين من الأخلاق: أخلاق نظرية و أخلاق الممارسات.

و لعل من أهم العوائق الاجتماعية قبول الوالدين. في مجتمعنا يتفتح الرجل على العالم الخارجي بفضل نمط نشاطاته وظيفته في البنية الاجتماعية، فمن المنطقي أن يخول للمرأة دور الحارس الأمين و اليقظ لتقاليد الأجداد. على أن مشاركة النساء في الأحداث الهامة و القرارات المتعلقة بالحياة الاجتماعية و العائلية و إن كان من الصعب تقييمها, مهمة جدا عندما تتجاوز الأطر الإلزامية للشرعية الصورية, فلها مثلا جزءا كبيرا في القرارات المتعلقـة بزواج الأولاد, و لكن يبقى الزواج الأكثر أهمية من مهام الرجال, و غالبا ما توجه نية الزواج بإرشادات خارجية حيث تلقي في أسماع الأم الميول لطرف معين تدخل فيه اعتبارات اجتماعية مختلفة. و يجب الإشارة إلى أن البنية الاجتماعية لا تقبل مخالفة القواعد إذ هي تصرفات انحرافية و منها الزواج الذي يرفضه الوالدان, فيكون العقاب غالبا بتوجيه الأنظار الجاني. وأكثر من ذلك, تتمثل العقوبة في الطرد المؤقت أو النهائي من الجماعة في الحالات الخطيرة جدا. و تمثل هذه

[2] C.L.Strauss op cit "p51

الوسائل قوة ردعية خارقة و التي يمكن تسميتها بالرأي العام. "واش قالوا " , "كثرت الهدرة", عبارات شائعة الاستعمال.

و بفعل هذه الأيديولوجية, يحق للوالدين الاعتراض على الزواج. فإذا كان الأمر مسلمة في تزويج البكر, فإنه يفرض على الشاب تقليديا الأخذ برأي والديه.

و من المظاهر التي يرفض فيها الزواج نذكر ما يلي:

الانتماء العرقي: ونخص بالذكر الزواج بين البيض والسود خاصة في تلمسان. لقد رأينا أنه في عالم الجن هناك جن أبيض و جن أسود و أن استخراج الجن الأسود يستلزم إقامة حضرة بمعية السود القاطنين في المدينة. و من ألفاظ السخرية أو الشتم ما يسمى "الأزرق" و "عبدة خادم" و كذلك "الحرطاني".

و ينتمي هؤلاء السود إلى فرقة سيدي بلال, و تفسر الأسطورة هذا الارتباط, فهذا "السيد" حول ابنه إلى رجل اسود ليعاقبه على سخريته منه و دليل ذلك بياض كف اليد و الرجل عند السود. و يبقى الأهم في الأسطورة هو اعتبار السواد كعقوبة أو كما يقال سخط أو "دعوة" نتيجة التعدي على قداسة الأب.

يعتبر الزواج بين رجل أبيض و امرأة سوداء كارثة في العائلات التي عرفت هذه الظاهرة و يشتبه الالتجاء إلى "الطالب" إذ يمكنه تجاوز هذا العائق. و على عكس ذلك يقبل الزواج بين امرأة بيضاء و رجل أسود خاصة إذا كانت المرأة من وضعية اجتماعية متواضعة و هذه الظاهرة مرتبطة بظاهرة العنوسة.

و يبرز الأصل الجغرافي كشكل آخر من التفرقة و كعائق لعلاقة الزواج إذ الزواج بين رجل من المدينة و امرأة من الريف أو كما يقال الزواج مع "العروبية" أمر غريب. حتى و إن كانت بنت المدينة تتزوج بكثرة مع ابن الريف صاحب الوضعية الاجتماعية المرموقة فإن هذا لا يعتبر زواجا ناجحا بنفس القيمة الزواج من ابن المدينة صاحب الوضعية نفسها, و تظهر هنا قيمة الزواج كمؤشر على النجاح الاجتماعي. حتى و إن انتمى الزوجان إلى نفس الفضاء الجغرافي فهناك

مستويات السلم الاجتماعي التي تتدخل و الذي يعلل بالنسب البيولوجي أو السلالة, و يمكننا اعتبارها كبناء معياري يخصص للفرد موقعا في سلم الأجيال و في المجتمع. و من هذا يجب السهر على مراقبة و تكافؤ المبادلة ما دام الزواج هو التقاء الأنساب. و ليست الأنساب أشخاصا فقط و لكن كذلك ما يحملونه من رأس مال اجتماعي ورمزي. و من ذلك المثل الذي تستعمله النساء يطمح شخص في الزواج من فتاة ذات مستوى اجتماعي أهم فتقول " كل قدرة يجي عليها كسكسها " أي أن كل واحد يجب أن "يناسب" (يصاهر) من مستواه الاجتماعي. و الذي يهمنا هو أن السلالة معيار اجتماعي يقام عليه الزواج, فيقبل الزواج إذا طابَقَ المعيار ويرفض إذا خالفه. و مشكلة السلالة تبرز عائقا اجتماعيا آخر داخل النسب ذاته متمثل في المفاضلة بين نسب الأب و نسب الأم والذي نتطرق إليه بعد حين.

و تشكل العذرية عائقا آخر, فيجب أن تكون الفتاة عذراء أو "عزبة" كما يقال و هذا للمحافظة على نقاوة السلالة. و تعتبر العذرية برهانا على عدم وجود علاقات جنسية سابقة مادام أن المرأة هي المسؤولة على نقاوة السلالة. ويترتب على هذا أن زواجا يكون فيه الطرفان من حالة مدنية (بالمفهوم القانوني) مختلفة أمر مستغرب و حتى إن وقع فمن النتائج المترتبة على ذلك بروز صراعات في أوساط الجماعة: نتحدث هنا عن زواج بين الأعزب والأرملة أو المطلقة, إنه نادر و لا ينظر إليه بعين الرضا, أضف إلى ذلك فشرط السن أساسي حتى إذا كانت المرأة عذراء. و نتكلم هنا عن شاب يتزوج ممَن تفوقه سنا فتنعت المرأة هنا بكلمة "الشارفة " مثلها مثل أنثى الحيوان- خاصة الأليفة- أو الخضراوات التي تصبح صلبة بعد مرور وقت قطافها, و كأن المرأة التي تقدم بها العمر تكون أصعب على الرجل و خاصة على محيطه, كما يشتبه في أخلاقياتها.

و تحدد قيام الزواج أحادية العلاقة الزوجية, حتى و إن يسمح بتعدد الزوجات من الناحية النظرية, فالأخلاق العملية ترفضه ذلك انه يشتبه في المرأة التي

ترضى بالزواج من رجل متزوج, فيشار إليها بعبارة " أداته على اولاده " أي بمعنى فصلته عن أولاده, و تدل لفظة "الشريكات" على الصراع.

تظهر هذه العوائق قبل الزواج و أما بعده فهنالك شروطا تثبت العلاقة الزوجية أو تلغيها و منها خصوبة المرأة والعلاقة مع نساء عائلة الزوج خاصة أمه أي "الخَتــنَة ". و تعتبر العلاقة التي لا تكلل بإنجاب أطفال خارجة عن المعيارية الاجتماعية للعلاقة الجنسية المرتبة في الإطار القانوني و هو الزواج. تعتبر المرأة مسؤولة عن عدم الإنجاب, فكم من امرأة طلقت لذلك. و الأمر لا يقف عند هذا الحد إذ تعتبر العلاقة مع التي لم تنجب ذكورا خارجة كذلك عن المعيار و يعلل الكثير من الرجال زواجا ثانيا بعدم إنجاب الزوجة الأولى للذكور و منهن من تطلق, و يدل هذا على التفرقة الاجتماعية على أساس الجنس و التي تبدأ منذ الولادة, فالمرأة عند عودتها من المستشفى, تستقبل بالزغاريد إذا كان مولودها ولدا, و بصمت إذ كان المولود أنثى.

## 2- 1 "الطالب في تعزيز أو تجاوز هذه العوائق

التفسير الذي يعلل تمكن هذه العوائق نجده في الأعمال التي قام بها بيار بورديو Pierre Bourdieu و التي شكلت سسيولوجية أنثروبولوجية تركز على عالمية المنافسة من أجل رأس المال الاجتماعي. ففي هذه المنافسة, يعاد إنتاج الهيمنة حسب منطق يمكن قراءته من خلال أصناف من رأس المال الاجتماعي والعنف الرمزي. و تمتاز بانتشارها في كل الفضاء الاجتماعي فتسيس كل الصراعات, و هذا ما يجعل السياسة تذوب في كل الممارسات الاجتماعية و تدخل عدة أطراف في المنافسة من أجل المشروعية.

حتى و إن اهتمت أعمال بورديو الأثنوغرافية بالقرية القبائلية فإنه يمكن تعميم النتائج على الفضاء المغاربي. فالرجل يرتبط بشدة بشرفه و الذي يسيره كما يسير رجل الأعمال مؤسسته مهتما في ذلك بالاحترام في القرية أو الحي أو

المدينة أي في وسط الأشخاص الذين يقيم معهم علاقات يومية من قرابة و جوار و تجارة الخ... هذا الحس بالشرف لا يخص نخبة فقط ، بل إنه في متناول العادي و الخاص إذ يحصل كل فرد علية عند الولادة و كأن الأمر عبارة عن ثروة تعبر عن شرف السلالة, و يمكن للفرد أن يحافظ عليها و ينميها أو يتلفها. تنمية تجعله يظهر حس شرفه على انه أكثر حدة من أبيه أو أخوته أو أعمامه. و في المقابل يستفيد هؤلاء من هذا المجهود الفردي. و إذا أتلفه فهذا يعود على القرابة على شكل "حشومة". الشرف و الحشومة ينتميان إلى نفس سجل القبول الاجتماعي.

و نسق المعيارية مضبوط " بحس الشرف حيث يسير الصراع بإعطائه أساسا سيكولوجيا و يؤمن وحدة الجماعة بضمان سلم مدني من خلال الارتباط بقانون تصرف يغرس في الأطفال من خلال التربية والذي يصبح صيغة تفكير و تصرف Habitus يعبر عن الاهتمام بالذات. ذلك أن كل واحد يبحث عن تقديم أحسن صورة عن نفسه للآخرين و يخشى بل يروعه ما يقال عنه. ما يسمى بحس الشرف، (الذي) ليس إلا صيغة تفكير و تصرف تسمح لكل فاعل توليد كل التصرفات المطابقة للقواعد انطلاقا من عدد صغير من المبادئ الضمنية كالتصدي و الرد, و هو ما يتم بفضل ابتكارات عديدة و التي لا تتطلب مجريات محددة الشكل للطقس فقط. و تبدو العلاقات اليومية مبنية أو تخضع لنسق من القيم يضبطها حس الشرف. على أن هذه المبالغة في الشرف و هذا التصرف الطبيعي ethos هدفه الأول ضمان السلم الاجتماعي و الثاني يبدي نوعا من المرجعية الثقافية ethnocentrisme , قائمة على النقاوة البيولوجية للسلالة. و هناك نوع من الصراع الخفي بين مختلف الجماعات المتمثلة في العائلات حيث تتصارع من أجل امتياز تشريف السلالة و النسب عن طريق المنافسة[1].

فمن هنا تقرأ علاقات الشرف مع عالم النسوة الذي يسيره مبدأ الحرمة و له نفس المفعول لمبدأ الشرف عند الرجال يمكن تسميته كذلك الحياء. " فبهذا ، تكون

Pierre Bourdieu Esquisse d une théorie de la pratique Geneve Droz 1972 p31 [1]

الحرمة من طبيعة نسوية، يكتب بورديو، يتعارض الإحساس الفعال للنيف، من طبيعة الرجال. إذا كانت الحرمة معرفة بمقدس الرجال بمعنى آخر أساسا بالمؤنث، فالنيف خصلة الرجال على الإطلاق"[2]

إن المرأة شخصية هامة في الهيكل الأسطوري الطقوسي (هذا المفهوم المتكرر عند بورديو هو الذي صار في الأعمال اللاحقة الحقل الرمزي) و حاضرة بقوة في الخيال الذي يرتب الفضاء الاجتماعي حسب منطق ازدواجي فتظهر كالوجه الآخر للرجل، و منطق يرجع إلى النظائر: مغلق/مفتوح، الداخل/الخارج، المقدس/المدنس، اليمين/الشمال، سحر/الدين... هذا ما جعل إدمون دوتي يكتب : "عند البربر كما عند العرب القدماء، تتعاطى النساء بالخصوص السحر، و تبين لنا الإثنوغرفيا المقارنة نفس الشيء عند الكثير من الشعوب البدائية و الشعوب المتقدمة في الحضارة. وضعية المرأة و الخاصية الفيزيولوجية "للمجروح الأبدي" بالنسبة للبدائيين موضوع حيرة و تخوف، يظن أنها مختلفة جدا عن الرجل, لها طابع أساسي غريب و مقدس و سحري و لهذا نعزلها عنه. و تزداد هذه السمة حدّة لأن المرأة لا تشارك في الغالب في الطقوس، و منه فهي مقصاة من تجارة المقدس أو الممنوعة فتعود إليها عن طريق السحر و الذي يصبح لديها نوعا من الدين، من مستوى أدنى"[1]

كما أن الرجل هو عون البنى الخارجية و المرأة عون البنى الداخلية التي تحدد مركزها و دورها, فالمرأة ليس لها رأس مال اجتماعي تدافع عنه بل هي في حد ذاتها رأس مال اجتماعي لأبيها أو اخوتها أو زوجها, و يجب حراستها لأن لها القدرة على تحطيم ما هو سبب عيش هؤلاء الرجال الذين تربوا في هذه الصيغة من التفكير و التصرف. فالسلطة التي توجد تحتها المرأة موضوعها الحفاظ على الحرمة، معناه أن المرأة سيدة في بيتها ما دام تصرفها مطابقا للمنطق الاجتماعي

---

[2] Pierre Bourdieu ibid pp34-35

[1] إدمون دوتي نقلا عن يلس شاوش مراد المرجع نفسه ص 30

المهيمن و الذي تعيد إنتاجه كما غرس فيها منذ الطفولة ثم تعلمه بذورها عندما تصبح أما.

و المرأة ليست متعاملا جنسيا فقط: بل إنها الشخص الذي عن طريقه يعاد إنتاج السلالة أو النسب, مع فكرة أن الرجال أبناء الرجال و ليس النساء اللواتي تعتبرن كافتراض مسبق للتكاثر البيولوجي فمن واجبهن احترام المعيار الهام لنقاوة الدم و منها الفكرة الثابتة لعذرية البنات كما ذكرناه, ووضع المرأة في الفضاء المنزلي مستور عن أنظار الخارج. و إعادة إنتاج المجتمع يقوم على معيار النقاوة و التي يفترض أنها تحافظ على رأس مال جيني موروث عن الأجداد كما يجب توريثه للأحفاد في حالته الأصلية. هذه الأيديولوجية الأبوية تبني خيال أفراد الجماعة و ترتب لإستراتيجيات زوجية تدخل فيها عناصر مرتبطة بالوسائل المادية و المصادر الرمزية. فالزواج كما يفسره بورديو هو ظاهرة اجتماعية معقدة وغائبة عن الفضاء العمومي.

على أن مساهمة بورديو في معرفة المجتمع المغاربي مهمة جدا في إطار سسيولوجية العائلة التي يقول عنها أنها فرع من السسيولوجية السياسية, ذلك أن الجماعات العائلية في بحث عن التأثير على بعضها البعض و دخولا في المنافسة، تجند موارد مختلفة لفرض نفسها في الساحة، حيث أنها تتصرف كوحدات سياسية متحاربة بوسائل سلمية, فهي مسألة الإستراتيجيات العائلية و الزوجية، و هي عبارة حربية يستعملها بورديو لتبيان أن الرابطة الاجتماعية تشغلها العدوانية بما في ذلك علاقات القرابة و المصاهرة و التي من المفروض أن تغذى بأحاسيس عاطفية و مودّة. إننا نرى في الطالب إحدى الوسائل المجندة في هذا الصراع والمنافسة.

يبين "الطالب" أن العلاقات غير مستقرة بين أفراد مجموعة يفترض أنهم متحدون و متضامنون. "فالطالب" وسيلة تبين لنا ديناميكية الخلاف التي تحرّكها توجهات متعارضة من تلاحم و شقاق تأخذ منبعها في الجماعة الأولية. "تكره خويا

و نكره ألي يكرهه", "خوك خوك لا يغرك صاحبك" أو "خوك ما يكره لك غير الموت" "دمك هو همك" تعطي هذه الأمثال المعروفة جدا القياس أو المدى لهذا التوجه المزدوج و المتعارض و الذي عن طريقه يعاد إنتاج المجتمع المغاربي. ألم يبدأ تاريخ الإنسانية بقتل الأخ fratricide ؟

و القرابة كلمة مملوءة بالمعاني الضمنية في الرابطة الاجتماعية و لكنها مبنية بذاكرة انتقائية تقلل من شأن المجموعة القرابية من نفس الرحم – إلا إذا كان هناك نجاح خارق– و الذي يقصي القرابة ذات القيمة الاجتماعية الضعيفة أو المنحطة. فالقرابة تستعمل في التقييم، على أنها ضمان يشهر للاستفادة من صورة ذي قيمة للذات. إنها رأس مال اجتماعي يعطي الحق في المصداقية و الاحترام. وإذا كان تصرف أحد أفراد القرابة ليس قدوة فإنه يخرج من ذاكرة النسب بمرور الوقت، فلا تحافظ هذه الذاكرة إلا على ذكريات لها علاقة بالوضعية الاجتماعية و ليس مع الوضعية في النسب. و نستنتج من هذا وجود استعمال لجتماعي للقرابة بمنطق اكتناز الموارد الرمزية . إن حدود الجماعة لا تعرف بعلاقة الدم كما يزعم خطاب الأفراد عن أنفسهم و لكن في" الواقع كما يكتب بورديو، بنية جماعة مرتبطة بالوظيفة التي هي مبدأ تأسيسه و تنظيمه ". إنه مبدأ القرابة العملية فهو قاعدة تأسيس الجماعات, و الذي يعطي أكثر أهمية للوظائف الاجتماعية منها للمركز البيولوجي. و بموجبه, الفرد يعرف نفسه بانتمائه لجماعة يقدم فيها أبناء أعمامه عن أخوته إذا كان الأولون معروفين أكثر. و من هذا تتولد الطبيعة المتذبذبة أو المضطربة لحدود الجماعة التي تؤدي وظائف سياسية بالنسبة للسلطة الرمزية التي عن طريقها تستقر علاقات القوة المسجلة في العالم الموضوعي و العالم الخيالي الذي يعيد بناء السلم الاجتماعي ابتداء من النسب الأسطوري[1].

يسأل سائل ما دور الطالب في مسائل الزواج و القرابة إذا ما كان هنالك بنى تحدد تصرف كل فرد و لا يمكنه الخروج عنها مخافة ردع اجتماعي متمثل

---

[1] بورديو المرجع نفسه ص 81

خاصة في الرأي العام ؟ فحسب بورديو الأشخاص لهم درجة من الحرية بالنسبة لتحديدات البنى الرمزية و التي تقرأ من خلال خطابهم و كأنها مطلقة. فالقواعد موجودة و كل واحد يحاول إظهار أنه يحترمها خاصة بإبداء ذلك للعيان، لكن هناك ما هو خفي، لا يبرز و لا يذكر و الذي يتعلق بالإستراتيجية الغير معلنة من أجل تلبية منافع مادية و رمزية بالنظر إلى الموارد التي بحوزة الفرد. فالإستراتيجية لا تتعارض مع القاعدة بل إنها الغرفة الخلفية. و من هذا يمكننا اعتبار "الطالب" جزء من هذه الغرفة أو عنصرا من الإستراتيجية. فالقاعدة العليا التي تنظم القواعد الأخرى هي الشرف. أما الإستراتيجية فهي الحساب الذي يتمثل في احترام صوري للقاعدة مع الحفاظ على ما يمكن. و نتيجة هذا نقول أن القاعدة من مهام الرجال و الإستراتيجية للنساء. بعبارة أخرى يمكن التمييز بين ممارسات رسمية و ممارسات استعماليه فيها يدخل الالتجاء إلى "الطالب" بهدف التأثير على المعيار سواء بتقويته أو الإخلال به, فحمايته أو تجاوزه يتحدد بوضعية المستعمل في الممارسات الرسمية و الممارسات الإستعمالية، خاصة في علاقات القرابة. يضع الزواج في علاقة جماعتين تقبلان بالمصاهرة و التصارع رمزيا مع التقديم المتبادل لتحديات خاصة في إدخال عضو جديد في الجماعة، و يمكن تغيير التوازنات داخلها بين النساء خاصة عند الأم و "عروستها" المستقبلية. "و لكل هذه الأسباب، فإن أعضاء الجماعة يلجأون إلى إستراتيجيات زوجية يقيم فيها الأعوان مصالحهم الشخصية والجماعية. الإستراتيجية هي القرابة الإستعمالية و التي تتكلف بإقامة الزواج، تاركة للقرابة الرسمية إظهار أن القواعد محترمة الزواج يعطي فرصة, يكتب بورديو, لملاحظة كل ما يفرق, فالقرابة الرسمية في الممارسة واحدة, ثابتة, ومعرّفة نهائيا بالمعايير و البروتوكولات للنسب, و القرابة الإستعمالية ذات تعاريف و حدود مختلفة و كثيرة بعدد المستعملين و فرص الاستعمال. تحيك القرابة الإستعمالية الزواج و القرابة الرسمية تقيم الاحتفال "[1]

---

[1] بورديو المرجع نفسه ص 96

تتكون القرابة الإستعمالية من الأشخاص الأكثر قربا و مصالحها عامة تعبر عنها الأم, بناتها و أخواتها, مدافعات عن الميزات الإيجابية بعابرة نفعية للولد الذي يراد تزويجه. فهي لا تقصي الرّجال لكن سلطة القرار فيها للنساء. تحدد الإستراتيجية في الجماعة الإستعمالية إذ ليس لها وجود رسمي, فلا تنجر نتائج عن مصلحتها فهي غير معترف بها جماعيا حيث تترك التحضيرات في طلب الزواج لهذا النوع من القرابة و لا يشكل الرفض "حشومة", إنّه فعل نساء و ليس له نتائج.

يظهر تعارض بين مفهوم القرابة الإستعمالية و القرابة الرسمية فيما يسمى بالزواج المفضل. و تفضل الأيديولوجية الأبوية السلالة المنحدرة من الأب أو الموازية له ذلك أن الزواج من بنت العم مفضل من الناحية النظرية و لكنه قليل الوقوع. و يقول بورديو في هذا الصدد " مما لا شكّ فيه أنّ الزواج من بنت العمّ يستمد الوضعية التي يحتلها في الخطاب الأثنولوجي لتطابقه مع التمثّل الأسطوري الطقوسي لتقسيم العمل بين الجنسين و خاصة الوظيفة المنوطة بالرجل و المرأة في العلاقات بين الجماعات. و التساؤل الذي يفرض نفسه: كيف أن الزواج من بنت العم ذو قيمة أيديولوجية و من جهة أخرى قليل الممارسة ؟ و سبب ذلك هو وجود مسافة كبيرة بين النظرة الأسطورية الطقوسية للعالم و الواقع الممارس المتميز بالالتزامات و المصالح مقنّعة بالمعتقدات الجماعية و الكذب المؤدّب"[2].

يدخل الزواج من بنت العم يدخل في تمثل نقاوة الدّم و الذي يدفع لعلاقات زوجية داخلية. فالجماعة تحافظ على نسائها لأعضائها الذكور. فباستثناء الأخت بسبب منع زنا المحرم inceste، فالمرأة الأكثر قربا و الأكثر تمثيلا لجماعة الرجال هي بنت العم " كذلك أحسن النساء أو أقلهنّ سوءا هي المرأة المنحدرة من الرجال من نفس النسب أي بنت العم، فهي أكثر النساء ذكورة "[1]. فبنت العمّ من الجنس

[2] بورديو المرجع نفسه ص127
[1] بورديو المرجع نفسه ص128

المؤنث مذكر على خلاف نساء أخريات بإمكانهنّ الحط من قيمة نسب الزّوج لفائدة نسبهنّ, فلا يوجد هذا الخطر مع بنت العم لأن الطرفين لهما نفس الجد.

لكن هذا الزواج ترفضه أم الزوج لأنّها في وضعية منافسة مع كل نساء نسب الزّوج. و الزواج المفضل للأمّ هو ذلك الزواج الذي يجمع بين ابنها و ابنة أخيها أو أختها. و يتحدد القرار بعلاقة قوّة داخل البيت حيث يمكن أن يتولّد عنه زواج مع بنت من قرابة أبعد لتفادي بنت العم أو العمّة و بنت الخال أو الخالة.

إن العلاقات الجنسية ظاهرة بيولوجية تدخل في إطار ثقافي مرتبط بجميع جوانب الحياة الاجتماعية من خلال مؤسسة الزواج الذي هو المعيار. فكل علاقة تدخل في هذا الإطار متى استطاعت أن تدخل تعتبر عادية. فقد بينا أنّ الزواج ليس علاقة دائمة الاستقرار, فلا يكفي أن يطابق الزواج الصورية القانونية و لكن هناك موازن قوى يجب الحفاظ عليها. و يعتبر الزواج بالنّسبة للمرأة المؤشر الأساسي للنجاح الاجتماعي خاصة إذا استفادت هي و أهلها في عملية التبادل. لكن التوازن في الزواج يبقى مرتبطا بعاملين يمكن أن نسميهما ظرف بعد الزواج, و أولها العلاقة مع أهل الزّوج خاصة الأم و الأخوات وثانيها الإنجاب.

لقد بيّنا أنّ الزواج تطبعه علاقات متأزمة relations conflictuelles يظهر دور الطالب في إيجاد توازن أو تمييّل الكفة لأحد الأطراف. فأم الزوج أو "الختنة" تلجأ إليه كوسيلة ردعية ضد زوجة الابن. كما تلجأ إليه أم الزوجة أو "النسيبة " لتحصين موقع لإبانتها من الاعتداءات السحريّة المحتملة.

فيمكن للإنجاب أن يخلّ بعلاقة الزواج في حالتان: الحالة الأولى تتمثل في انعدامه. فقد كانت تعتبر المرأة إلى وقت قريب جدا المسؤول البيولوجي الوحيد عن عدم الإنجاب. فكم من نساء طلّقن لأنهن لم تنجب أطفالا أو كما يقال "ما ضناتش ". و تستعمل كلمتين للدلالة على المرأة التي لا تنجب أولها العاقرة و الثانية تستعمل للشتم أو كما يقال "المعايرة"– بمعنى ذكر العار– و هي "تيناشة" و يقال عن الرجل "تيناش". يشكل الإنجاب هاجسا خاصة لدى المرأة لأنّ غيابه ينفي

غاية وجودها في البيت ويلتجأ للطّالب لبعث أو إحياء هذه الوظيفة, و زيادة على بعض الممارسات نذكر منها أنّ المرأة يجب عليها أن تقطع البحر حتى تتمكن من الإنجاب. كما تنصح المرأة كذلك بلحس الحنّة في يد العروس ليلة زفافه إضافة إلى طقوس الحزام التي تهدف إلى تهيئة كل الظروف بطريقة سحرية تعين على الإنجاب بالإضافة إلى الزيارات إلى الأضرحة.

و الأمر لا يتوقف عند انعدام الإنجاب. حتى و إن وجد بل يجب على المرأة حسب المعيار الاجتماعي للعلاقة الجنسية السوّية أن تنجب ذكورا لما للذكر من أهمّية في التمثل الشعبي للنسب الذي يعتبر المرأة التي لا تنجب ذكورا قد أخلت بالوظيفة التكاثرية المناط بها و يحمّلها مسؤولية ذلك. و هناك كثير من المعتقدات المرتبطة بالتنبؤ بجنس المولود الجديد نذكر على سبيل المثال الرؤية أو المنام. فإذا رأت الحامل شيئا من جنس المذكر فالمولود يكون ذكرا و العكس صحيح, أضف إلى ذلك الزيارات إلى أضرحة الأولياء و ما يشبهها و طلب الإعانة منهم لإنجاب الذكر مقابل بعض القرابين من تبخيرة و نقود و أضحيَة من أجل الحصول على الولد. و يقال عن الولد المدلل أنه " مشري على ربي و مطلوب على الصّالحين " بمعنى أنّ الوالدين أنفقا الكثير في سبيل الحصول عليه. و من الرجال الذين يطلقون زوجاتهم من يقدّم العقم أو إنجاب الإناث فقط كسبب كاف و مقبول للتزوج من امرأة أخرى و يتبع هذا الأمر سواء تطليق الأولى أو تركها في البيت و يقال في هذه الحالة "زاد عليها الشريكة " و تتميز العلاقة بين"الشريكات" بالصراع الحاد و المستمر سواء عن قرب أو عن بعد بواسطة "الطالب" حتى تحافظ كل واحدة على الزوج و بالتالي البقاء في الإطار المعياري لتواصل أداء الوظائف الاجتماعية.

و لما كان الزواج هو الإطار المعياري و الإلزامي للعلاقة الجنسية المؤسسة على وظيفة التكاثر فالإسراع بالدّخول فيه يجنب الوقوع في وضعية اجتماعية صعبة: و هي العنوسة. غالبا ما يردّ أمر الفتاة التي لم تطلب للزواج و العزوبة

المشبوهة للشّاب إلى عمل سحريّ يسمى "الثقاف" وهو من اختصاص "الطّالب". و تشكل العنوسة وضعية منبوذة, و تعتبر نتيجة عمل سحريّ أو الثقاف كما هو الحال في العزوبة المزمنة و كأن العنوسة في التمثل الشّعبي مرض لأنه يعطل الوظائف الاجتماعية, إنها تهميش, حيث تتأذى منها عائلة الفتاة. تنعت العانس بالبوار و كأنّها سلعة لم تجد مشتري, و يقال في هذا السياق مثلا للأم أو الأب "كل سلعة عندها كيالها" أي كل بضاعة لها زبون, و ذلك تأدبا أو رأفة بأب العانس أو أمها. كما ينعت الشاب الذي لا يرفض الزواج بالرغم من توفر الشروط المادية و الرمزية بعبارة " عازب اليهود " فالعزوبة المزمنة أمر مشبوه فيه. فالأم تلجأ إلى "الطّالب"، لأنه وسيلة لإدخال ابنتها أو ابنها في إطار المعيار.

أن تدخل للمرأة في المعيار و تصمد أمام الخلافات المترتبة عنه و تأدية الوظائف البيولوجية و الاجتماعية و الاجتهاد للبقاء في الإطار و هذه أربع مجالات يتدخّل فيها الطّالب. ففي التمثل الشّعبي، و حسب الاستعمال يمكن "للطّالب" مساعدة الفتاة على إيجاد زوج أو إبقائها في هذه الحالة إذا ما كان زواجها مضرّا بمصالح آخرين وذلك يحدث في التنافس على رجل, فهو إذا يمكن من تجاوز العوائق الاجتماعية أو تعزيزها و الصمود في الخلافات خاصة مع أم الزوج يترتب عليه نتيجتين فإما أن تهيمن الواحدة منهنّ أو يهيمن عليها و هذا مصطلح أساسي في علم الاجتماع. ففي حديث عن رجل أعرفه يمتاز بقلة الطموح و الحركية قالت لي قريبته أن زوجته و أمه "متعاونين عليه " أي كلتهما تلجأ إلى "الطّالب" للهيمنة عليه و طبعه هو نتيجة لكل ذلك. أما تأدية الوظيفة البيولوجية فقد بيّنا أن النّساء والبعض من الرجال يسعى من خلال اللجوء إلى "الطّالب" مع استعمال و سائل أخرى لإنجاب أطفال في حالة العقم أو إنجاب الذكور إذا لم يمنحها الله ذلك, كما يتدخل "الطّالب" للإخلال بالوظيفة البيولوجية من خلال عملية "الربيط " فحسب المعتقد الشّعبي يستطيع "الطالب" منع الزوجان أو أحدهما من الممارسة الجنسية. أما الاجتهاد للبقاء في الإطار "فالطّالب" يتدخل ليؤمّن البقاء

فيه من خلال الاحتياطات المتخذة لإبعاد كل ما يمكن أن يشكل خطرا و قد يلجأ إليه في التفريق بين الزوجين لشل كل الوظائف التي كانت تؤسس اجتماعهما المنوطة بهما. و قد ذكر القرآن الكريم هذه المسألة في قصة هاروت و ماروت "و اتّبعوا ما تتلوا الشّياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان و لكنّ الشياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت و ما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء و زوجه و ما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله و يتعلّمون ما يضرّهم و لا ينفعهم و لقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق و لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"[1].

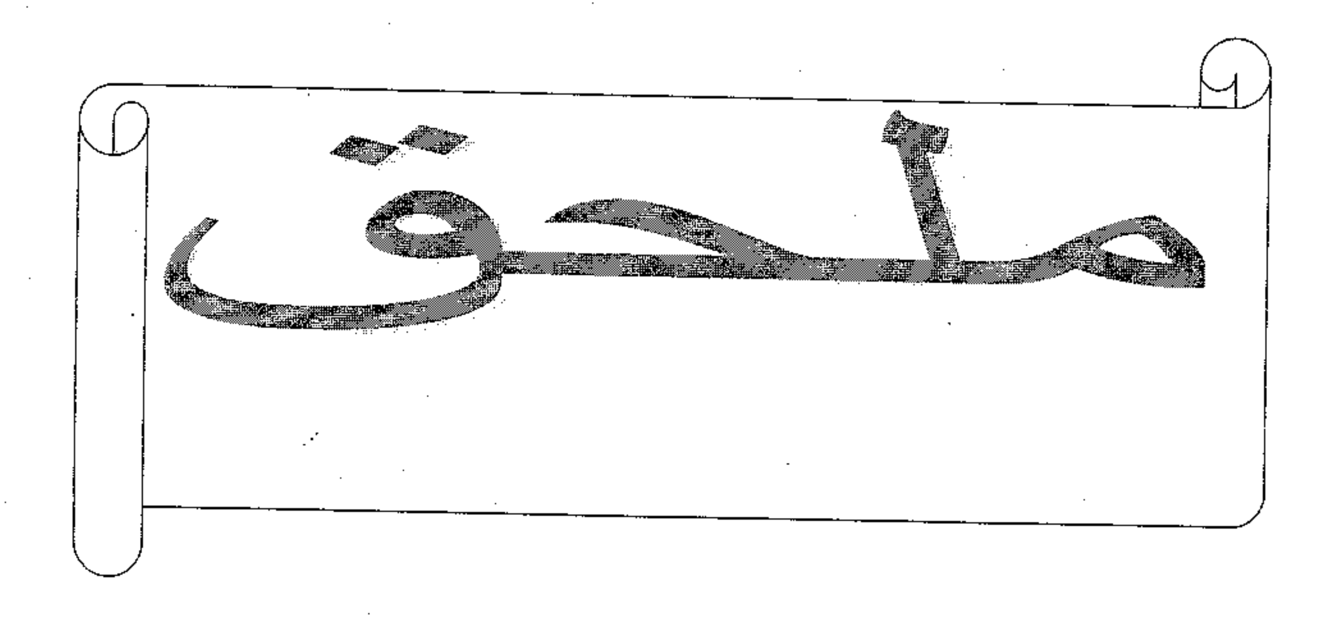
[1] سورة البقرة آية 102

# خلاصـــة عامـــة

و في خلاصة هذا العمل يمكننا القول بأن الواقع الاجتماعي غني و معقد جدا و لم نهتدي إلى نظرية اجتماعية تحيط بكل جوانب هذا الواقع كشبكة متداخلة خيوطها. و قد يتوهم البحث و يوهم القارئ في الخلط بين الواقع و النظرية المتبعة, فالنظرية ما هي إلا وجهة نظر و لكن ليست الواقع حيث أن الظاهرة المدروسة تقدم في حالة من النقاوة و قد خلّصت من كل ما قد يعلق بها. إن الباحث في العلوم الاجتماعية كتلك الشخصية في الحكايات العجيبة تجد أشياء لم تكن تبحث عنها و هنا يتقدم له حلان : فإما الإعراض عنها و إما إدراجها في البحث ولكن هذا الحل يصعّب من الوصول إلى التدقيق.

إن الموضوعية في دراسة المتعلقة بالثقافة ليست سهلة المنال ذلك أن إحداث قطيعة مع تصورات قديمة ليس هين. فعلى الباحث تسجيل الدراسة في إطار نظري للعلوم الاجتماعية مع كل ما يتطلبه هذا العمل من ابتعاد عن مرجعية أيديولوجية و الطموح إلى التعميم.

و لقد حاولنا في دراسة هذه الظاهرة الثقافية الربط بين بنية تفكيرية و بنيـــة اجتماعية أي بين صغة تفكير و تصرف و ما يحددها في التنظيم الاجتماعي . فوجوده "الطـــالب" مستمد من معتقدات جلها سحري و البعض منها ديني, فسلطته ليست بهبة طبيعية بل إن المجتمع هو الذي يخولها له ليكون صمام الأمان لفئة تجد صعوبات في التلاؤم مع التنظيم الاجتماعي و المعايير التي يفرضها. "فالطالب"كمرآة عاكسة لذهنية سحرية لا يفسر وجوده إلا في علاقته مع التنظيـــم الاجتماعي للعملية الجنسية عبر مؤسسة العائلة و التي في النهاية ما هي إلا تسييرا للجسم على المستوى الفردي و إنتاج للأجساد على المستوى الاجتماعي و هذا ما يسمى البقاء.


ملحق

كان أحد تلاميذ الأقسام التي أشرفت عليها خلال السنة الدراسية 1995/1994 يقع دائما في غيبوبة داخل القسم فيبدأ بالبكاء و يحمر وجهه حتى أنني أصبحت أتعرف على هذه الحالة مسبقا. و كان يتغيب كل يوم سبت، فلما تحدثت إليه عن سبب فقده لوعيه وكذا الغياب المتكرر ردّ علي قائلا": إنّ جارتنا أرادت بأمي سوءا فكتبت حرزا وضعته في عود أدخلته في ثقب برميل كانت أمي تعيره لها و منذ ذلك صرت "مسكونا" مملوكا لامرأة تمنعني من الدّراسة و تريد الزواج بي, و قد قيل لي أنني سأصاب بالحمق إن فعلت. و لقد جربت عدة طرق للتداوي إنني أتغيب كل يوم سبت للذهاب لزيارة ضريح سيدي أبي مدين كما زرت أولياء آخرين بناحية عين يوسف و زناته، وفي كل مرة أقدم الذبائح، كما ذهبت إلى عدة "طلبه "فأخبرني أحدهم عن كل شيء."

وقد أخبرني أحد الزملاء يوما أنه "طالب " وأنّه يكتب "حجوبا " ففهمت من التفسيرات التي زوّدني بها أن الوصول لدرجة "طالب " ليس بالأمر الهيّن لأنّ ذلك يخضع لتكوين طويل نوعا ما يتعلق بحفظ القرآن الكريم وفق طريقة تقليدية متداولة في أوساط حفظة القرآن الصغار منهم و الكبار و مرحلة ثانية لم يكشف لي عن كل أسرارها قائلا ":في هذا العمل أسرار لا أستطيع أن أكشف لك عنها".

طلبت من بعض تلاميذ الثانوي كتابة ما يعرفونه حول هذه المعتقدات والممارسات، فحصلت على عينات تتقارب في مضمونها.

كتبت إحداهم قصة حدثت لقريبتها تسكن في فرنسا ":كانت فتاة في الثامنة عشر من العمر, بدأت قصتها بنزاع مع والدها الذي فرض عليها الزواج من شخص لا ترغب فيه . رمى الأب إناء على وجه أبنته فخرجت الفتاة إلى الحديقة باكية فتبعتها أمّها تناديها ففوجئت لما رأت ابنتها تتحدث مع قطتها ثم فجأة سقطت الشابة مغمى عليها فأخذت للطبيب الذي عجز عن تشخيص الحالة فقال أن البنت تعاني من انهيار عصبي فنصحها الجيران بأخذ الفتاة عند"الطالب" لأنّها كانت تبدو كالمجنونة, كما كانت تصاب بشلل ما بين العصــر و المغرب و تتكلم

بالعبرية. قبل المجيء إلى الجزائر عرضت خالتي ابنتـها على "طالب" مغربي في فرنسا اسمه سي دريس .قال لهم أنّ فاطمة "ساكنها" جن و أشار على الأم بأخذ ابنتها إلى البلد ففعلت و أخذت ابنتها إلى "قزانة " في مدينة الرمشي تدعى "رحمة" فقالت لهم أن فاطمة ساكنها جن يهودي و هذا نتيجة لعمل سحري قامت به زوجة العمّ في "جدول" علق في شجرة و آخر وضع في "قبر" . عرضت المريضة على "طالب" آخر في سيدي بن عدة يدعى سي لخضر، يعتبر "طالب " خديم استطاع أن يخرج الجّن "بالرقية ؟". ، قام أربعة رجال بربط فاطمة في هذه العملية، أخرج الطالب الجّن من فاطمة في صورة كلب بقراءة القرآن. أمر "الطالب" الأم بزيارة سيدي يوسف وذبح كبش فنفذت الأمر .رجعت الفتاة إلى حالتها الطبيعية بعد فترة من المعاناة، فتزوجت لكنها لم تنجب أطفالا إلى حد الآن. ثم عادت زوجة العمّ إلى فعلتها مع فتيحة أخت فاطمة و كذلك خديجة، كل هذا من أجل ميراث .تكاليف المداواة فاقت خمسين ألف دينار"

كتبت تلميذة ثانية في السياق نفسه تروي قصة خالتها "بدأت القصة بالخوف و الخجل فلم تكف عن البكاءو عيناها موجهتان للأغطية و متحدثة عن الموت. وجدت بين الأغطية ثلاث قطع نقدية سوداء بقيمة عشرين سنتيم. أخذت القصة منعرجا خطيرا حين حاولت خالتي الانتحار و لما منعت من ذلك عادت لتختبئ. أخذت جدتي القطع النقدية الثلاثة عند "الطالب" فأجاب قائلا أنه لا يمكنها أن تنجب إلا بعد مرور اثني عشرة سنة، فكل قطعة عشرين سنتيما تمثل أربع سنوات (القطعة النقدية بقيمة عشرين سنتيمًا تسمى "ربعة دورو") إنّها نحبت وقع جنّ عمره مائة سنة، لهذا كانت تفكر في الموت و الشيخوخة. بعدها أستقدم "الطالب" إلى البيت، و وخز رجل خالتي للتحقق إن كانت واعية بما كان يحيط بها ثم قام بسقيها أكوابا من الزيت فتقيأت. أمر" الطالب" بزيارة "سيدي كانون" والاستحمام في "العين" المجاورة له. و بعد مدة شفيت و لكنها تنتظر أطفالا نظرا لأنها لم تستوف الاثني عشرة سنة ."

و كتبت ثالثة: "في يوم من أيام العطلة تجولت بشواطئ وهران برفقة ابنة خالتي، اتصلت بنا خالتي بعد عودتنا فأخبرتنا أن تصرف ابنتها غريب، بأنها أصيبت بالوسواس و تتوهم أشياء لا وجود لها. أخذت المريضة إلى المستشفى، اقتصرت المعالجة على دواء منوم أدخلها في غيبوبة بعدها رجعت إلى وعيها ف بكت. أكد الأطباء عدم تحكمهم في هذه الحالات و ذلك لغياب الأعراض . فنصحها أصحاب الخبرة بأخذ المريضة إلى ولي صالح؟ وأخبروها بأنّ ابنتها "فيها المومنين و ما ينفع غير زيارة الولية أو القبة"، فزارت العديد منهم، سيدي كانون، سيدي بومدين بتلمسان و سيدي الهواري بوهران و سيدي يوسف و سيدي يحيى بضواحي مدينة سبدو، فتحسّن حالها قليلا غير أن الأم أرادت لابنتها علاجا نهائيا لتخليصها من الوسواس فنصحوها بالالتجاء إلى الأئمة أو "الطلبه" المختصين في الرقية أي قراءة القرآن على قليل من الماء كما كتبت لها آيات قرآنية على قطع البسكويت لتتناول الكل. وبعدها زارت إماما حكيما فأمرها بالاستلقاء على سرير و السكون، قام بعد ذلك بتلاوة القرآن الكريم ساعات عديدة، فخرج العفريت من جسم المريضة و الدليل على ذلك أنّ كل أطرافها ارتجفت حتى خرج تماما فشفيت".

كتبت رابعة اسمها العائلي "سحنون"، من عائلة تشتهر في بلدة الحناية "بحكمة "المداواة "بالكيّ "، تعدّت هذه الشهرة حدود البلدة .يكفي أن تحمل هذا الاسم حتى تستطيع ممارسة هذه الطريقة في التداوي .بدأت مقالها قائلة: "أحنا(نحن) السحانين ما نشوفوش البقرة كتنذبح (لما تذبح) لأنّ جدّي الأكبر سلكاته (أغاثته) بقرة " و واصلت تقول:" كانت عائلة من أربعة أفراد تقطن بقرية أسمها واد بمسعود و تمتلك قطعة أرض و بعض الغنم و البقر. على جانب المسلك المعتاد مقبرة معالم قبورها غير واضحة, و في مساء يوم من رمضان من سنة 1990، محمد و فاطمة "انضربو" أمامها فأصبحا لا يبرحان المكان فيبيتان فيه . استقدما الوالدان "الطالب" الذي بدأ بقراءة القرآن لكن الجّن رفض الخروج إن لم

تلب بعض الشروط فطلب بذبح ديك أحمر لتقديمه لأحد النّاس، استجاب الأب للمطلب لكن الجّن أصر على البقاء. و أمام هذا التعنت استقدم الأب مجموعة من "الطلبه" فغضب الروحاني، فمحمد يضرب أباه لأن جنية تأمره بذلك. واصل "الطلبه" قراءة القرآن حتى خرجت جنية محمد في النار و جن فاطمة في الدم." أتبعت هذه القصة برواية أخرى: "كانت امرأة تعيش مع أبنتها لينده المتحصلة على شهادة عليا. أصيبت لينده بمرض خطير (لم تذكر المرض ) فلازمت الفراش، لما جاءت خالتها لزيارتها وضعت لها "كتاب" لكي لا تتزوج . أحسّت الفتاة بأنها ستفارق الحياة فطلبت من خالتها أن تغسلها. فارقت لينده الحياة, فلّما أتت النّساء لتغسيل الجثة منعتهم الأم و طلبت من أختها القيام بذلك كما طلب منها. لما لمست الخالة الجثة، أمسكت الميتة "ليندة" يدها و لم تستطع التخلّص منها. أحضر "الطالب" فرتل آيات قرآنية لكن بدون جدوى فقال أن ثمة أمر فعلته الخالة يجب عليها أن تطلب منها "السماح." اعترفت الخالة بفعلتها "ربطتها". طلبت الخالة أن تسامح لكن ليندة رفضت الطلب فبقيت ممسكة بخالتها و لم يحسم هذا الوضع إلا بعد قطع يد الميتة".

# فهرس المواضيع

# قـائمـــة المـــراجـــع

## مراجع باللغة العربية:


1- القرآن الكريم.
2- ابن خلدون. المقدمة. دار و مكتبة الهلال بيروت 1988
3- محمد الجوهري الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية
الجزء الأول من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة 1983
4- د.خليل أحمد خليل. المفاهيم الأساسية في علم الإجتماع. دار الحداثة للطبع. الطبعة الأولى بيروت 1984


## مراجع باللغة الأجنبية


1- Pierre Bourdieu. Esquisse d'une théorie de la pratique Droz Genève 1972.
2- Pierre Bourdieu.. Sociologie de l'Algerie Que sais-je p u f Paris 7° ed 1985.
3- M.Y.Chaouch Le Hawfi poésie féminine et tradition orale au Maghreb OPU Alger 1986.
4- A.Cuvillier Manuel de sociologie Tome II PUF Paris 1970 p 1023
5- Claudine Chaulet Présentation des dehors in Espaces maghrébins- pratiques et enjeux ENAG URASC 1989.
6- Marie Virolle Souibess Une figure de la limite : le seuil domestique in Espaces maghrébins – pratiques et enjeux ENAG URASC 1989.
7- Traki Bouchara Zanad Le dar el arbi in Espaces maghrebins pratiques et enjeux ENAG URASC 1989.
8- Marcel Mauss Sociologie et anthropologie PUF Paris 3°ed 1985.
9- Claude Levi Strauss Anthropologie structurale Plon Paris 1958.
10- Claude Levi Strauss Les structures élémentaires de la parenté Mouton Paris 1967.
11- Claude Levi Strauss Le regard éloigné Plon Paris 1983.
12- Jean Desparmet Ethnographie traditionnelle de la Mitidja in revue africaine :- N° 50 année 1906./ N°51 année 1907/ N° 63 année 1922/ N°64 année 1923/ N° 65 année 1925/ OPU Alger
13- Abdeslam A.Choiaib Revue africaine N°50 année 1906.OPU Alger.
14- E. Lefebure Revue africaine N°63 année 1922.